مجموعة البطولة

١٣

الجاسوس الكبير

تأليف
جون بوشان



أشهر المغامرات

الجاسوس الكبير

THE THIRTY-NINE STEPS

تأليف
جون بوشان

دار عمر أبو النصر وشركاه
للطباعة والنشر والتوزيع والصحافة

بناية درويش - شارع سورية - بيروت

محتويات الكتاب

- ١ -

الجريمة

عدت من لندن بعـــد ظهر يوم من شهر آب .. تعبـاً ضيق الصدر لا اجد معنى للحياة التي احياها ..

لقد صرفت في انكلترا ثلاثة اشهر حتى هذه الساعة ، فما الذي افدته منها ؟ .

واين هي السعادة التي وجدتها في هذه الايام الـــتي صرفتها فيهـا ؟ .

لو ان احداً حدثني لسنة خلت.. باني سوف اصاب بهذا الضيق والحرج لضحكت في وجهه ، ولحسبته يهزي ويمزح ..

ولكن الشيء الذي لم اكن اتوقعـــه اصبـح امـراً واقعاً .

لقد ضقت ذرعاً بالجو الباهت المليء بالضباب وهـو جو كان يمنعني من الحركة ، ويدفعني عن الرياضة .. وعن تمضية فراغي

فيما اختاره واصبو اليه ..

ورحت اقول لنفسي بعد هذه الاشهر الثلاثة

ـ ريشارد هاني ـ وهذا هو اسمي ـ ان جو انكلترا ليس المكان المناسب لمثلك ، ولهذا يحسن بك ان تبحث عن مكان آخر ..

ولقد زاد في ضيق صدري ، لما شاهدت ان الآمال التي عقدت العزم على تنفيذها حين كنت في جنوبي افريقيا .. تتحطم امامي ..

كنت افكر حقاً فيما يسرني ويسعدني .. وكيف انه سوف يكون باستطاعتي تمضية ايام سعيدة هانئة في لندن ..

لقد سافرت مع والدي الى افريقيا وانا في السادسة من عمري ..

ولم اشاهد انكلترا بعد ذلك التاريخ ابداً ، ولهذا كنت ما ابرح احن لها ، واتمنى العودة الى وطني لامضي فيه البقية الباقية من حياتي . .

وبعد اسبوع واحد من عودتي ، تولتني الحيرة ، واحسست بالضيق يغمرني ..

لقد تعبت من حيـــاة المقاهي والمطاعم والمسارح ، وسباق الخيل ..

ولم اظفر بصديق اثق به واستأنس بالاجتماع اليه ، ولعل هذا من الاسباب التي زادتني ضيقاً عـــلى ضيق ، ومللاً على ملل ..

لقد تعرفت بالتأكيد على بعض العائلات .. ودعيت اكثر من مرة للعشاء عندهـــا وقضاء السهرة مع افرادهـــا ، ولكن احداً ممن اجتمعت بهم او بهن لم يظفر باهتمامي ولا اثر علي ..

كانوا يسألونني مثلاً عن جنوبي افريقيا ..

حتى اذا اجبتهم عن اسئلتهم ، انتقلوا الى شؤونهم الخاصة ، يتحدثون بها ، ويحدثوني عنها ..

وكذلك احسست بالوحشة والوحدة .. مع اني كنت املك من المال والصحة الجيدة ، والفراغ ما يمكنني من الحياة على هواي ..

ولهذا ــ وامام هـــذه الحالة ــ قررت العودة الى جنوبي افريقيا .. بعد ان فشلت في العثور على ما اريده واصبو اليه في

لندن ..

وكنت بعد ظهر هذا اليوم – الذي قررت فيه العودة من حيث اتيت – قد ذهبت الى لندن لبعض اعمالي ، فلما كنت في طريقي الى شقتي عرجت على النادي لقضاء بعض الوقت ، وقراءة صحف المساء ..

كانت الصحف مليئة باخبار الحالة القلقة المنتظرة في الشرق الاوسط ..

وكانت هناك مقالة عن المستر كارو ليدز رئيس وزاء اليونان.. وكنت محباً لهذا الرجل مهتماً باخباره ..

وكان يبدو لي انه الرجل القوي الوحيد في هذه المنطقة . . وكان نقياً شريفاً مخلصاً ..

وهي صفات لم يكن ينعم بمثلها الكثيرون من حكام هذه المنطقة ..

وكنت اعلم انهم يكرهونه في برلين وفيينا ..

واننا نعمل على تثبيته وتقويته ومساعدته ، حتى ان احدى الصحف قالت : انه الوحيد الذي كان يقف في وجه نشوب حرب عالمية ، وان سقوطه يجعل هذه الحرب امراً واقعاً ..

فلما كانت الساعة السادسة توجهت الى شقتي .. حيث بدلت ثيابي ..

ثم ذهبت الى احد المطاعم ، فتناولت طعامي ، بعد ان اعتزمت قضاء السهرة في احد المسارح ..

لم تعجبني الرواية كثيراً ، فغادرت المسرح في نهاية الفصل الثاني ، متوجهاً الى شقتي ..

كان الليل حلواً جميلاً .. يحلو فيه السير على الاقدام ، وكان الناس يروحون ويجيئون .. وهم يتحدثون ويضحكون ، ويتندرون فيما بينهم .. حسدت الجميع على لهوهم وعبثهم ، وضقت ذرعاً بوحدتي ، وخلو حياتي من كل شيء مثير غريب ..

وقررت البقاء يوماً واحداً في لندن ايضاً ، ثم اركب البحر الى رأس الرجاء الصالح ..

...

كانت شقتي في الطابق الاول من عمارة جديدة .. يقف على بابها خادم ، وعامل للمصعد ..

وكل شقة من شقات هذا البناء مستقلة الواحدة منها عن

الاخرى ..

ولما كنت اكره استخدام الخدم في شقتي فقد كنت استأجر واحداً يخدمني في النهار ، ويمضي في سبيله مساء ..

فكان يأتي في الثامنة صباحاً ، ويغادرني السابعة مساء . . لانني كنت افضل تناول عشائي في المطاعم ، اتنقل من واحدالى آخر ..

وكنت قد وضعت مفتاحي في قفل الشقة لما شاهدت رجلاً يقف الى جانبي ..

لم اشاهده عند وصولي الى العمارة .. ولهذا بدت علي الدهشة حين رأيته يظهر من حيث لا ادري ..

كان قصيراً بلحية صغيرة ، وجسم دقيق .. وقد عرفته حين انعمت النظر فيه ، وانه الرجل الذي يسكن في الطابق العالي ، وتذكرت اني سلمت عليه مرة ، ونحن في طريقنا الى الشارع ..

سألني : هل استطيع التحدث اليك؟ وهل تسمح لي بالدخول الى شقتك لدقيقة واحدة .؟

واحسست انه يغالب نفسه ليكلمني بصوت هادىء ..

وكان قد وضع يده على ساعدي متحبباً متودداً ..

ولم اقل شيئاً .. ففتحت باب شقتي .. واشرت له ليتقدمني..

اسرع عند دخوله يتفحص غرف المنزل ، ثم نظر الى الباب وسألني :

ـ هل اقفلت الباب .؟

وليتأكد من ذلك . . تقدم اليـــه واقفله من الداخل . . ثم قال :

ـ اني متأسف لهذا التصرف .. ولكني اعتقد انك الرجل الذي يستطيـع تقدير الموقف ..

فقد كنت افكر فيك مدى هذا الاسبوع المنصرم لما تعقدت الامور ، وكنت واثقاً انك الرجل المطلوب .. هل انت مستعد لتقديم خدمة لي ؟

اجبته : اني على استعداد لان اسمع ما تريد قوله . . هذا كل ما اعدك به . .

والواقع اني ضقت ذرعاً بحركات هذا الجار المريبة.. واخذت احسب الف حساب لما سوف يقوله ..

وقال الرجل :

ـ يجب ان تعذرني .. فاني قلق مضطرب هـذه الليلة ، لانه من المفروض ان اكون ميتاً في هذه اللحظة ..

ارتميت على مقعد قريب .. واشعلت غليوني ثم سألته :
ـ كيف تجد الحالة في الاخرة ؟

علت وجه الرجل ابتسامة خفيفة ، ثم قال :

ـ لا . . لا . . لست مجنوناً . . اني في كمال عقلي بالتأكيد ..

لقد اخبرتك اني كنت اراقبك ، وقد وصلت الى الاعتقاد بانك لست ممن يخافون .. وانك رجل يوثق به . . ولهذا قررت ان افضي اليك بسري ..

اني بحاجة الى مساعدة في الوقت الحاضر.. واريد ان اعرف فيما اذا كنت استطيع الاعتماد عليك ..

ـ الافضل ان تحدثني بقصتك اولاً . . . ثم تسمع جوابي ..

• • •

تمالك نفسه بشيء من الصعوبة .. وبدأ يقص علي هذه القصة الغريبة ..

حتى لقد اضطررت اكثر من مرة الى مقاطعته ، والقاء بعض الاسئلة عليه ، لاستوعب حديثه . . . وهذه هي

قصته كما سمعتها منه :

« انه اميركي من مواليد ولاية (كنتوكي) .. وبعد ان تخرج من الجامعة ، قرر السفر ومشاهدة الدنيا ، وقد ساعده على ذلك ما كان ينعم به من المال ..

وفي اثناء رحلاته هذه ، كان يكتب الى بعض الصحف بمشاهداته ، خصوصاً أخبار الحرب البلقانية ..

« وكان كما بدا لي يعرف عددا من اللغات ، كما تعرف في اثناء رحلاته هذه على عدد من كبار الشخصيات .. التي كنت اقرأ اسماءها في الصحف ..

ثم أخذ يتدخل في الشؤون السياسية لبعض البلدان التي كان يزورها ..

وقد اصبح اهتمامه بالساسة واخبار الساسة جزءاً من حياته ، وصفة علقت به ..

« وكان اهم ما لاحظته فيه ، رغبته في البحث عن الاسرار السياسية والشؤون الغامضة التي تحرص بعض الدول والجماعات على اخفائها ..

لقد اصبح يعرف اكثر مما كان يفكر في الوصول اليه ، حتى تورط فوصل الى معلومات عظيمة الخطورة ..

«والواقع اني اقص عليك ما أخبرني به» وحدثني عنه لا أزيد عليه حرفاً ..

« وكان مما اخبرني به ، وجـود منظمة مريبة ، خطرة يرسم خطوطها جماعة من كبار المغامرين وقع عليها بمحض الصدفة ، فراقته مريبتها ، ومضى يبحث اخبارها ، ويحاول الوصول الى اعماقها ، حتى وصل به الامر الى ان اكتشف امرها ..

« وكان رجال هذه المنظمة من المغامرين ، الذين يقومون بالثورة ، ويثيرون المشاكل والاضطرابات . . ضد الحكومات المختلفة القائمة . بعضهم يفعل ذلك بدافع المغامرة والحزبية ، وآخرون ، خصوصاً الاغنيـــاء منهم ، بدافع المال الوفير ، الذي سوف يحصلون عليه ، عند قيـــام حرب ، او حدوث ثورة ..

« وكان غرض هذه الحركة ، اثارة الخلاف ، بين المانيـــا وروسيا ..

ولما سألته عن السبب اجاب :

« ان الفريق الأول يعتقد ان مثل هذه الخلافات ، التي قد تؤدي الى الحرب مثلاً ، لا بد ان تسقط الحكومات القائمـة لتحل محلها حكومات جديدة ..

« واما الفريق الثاني فكان يؤمن بان هـذه الحرب ، سوف تزيد في ثروته ، لانه لم يكن من المؤمنين بالمبادىء والحزبيات ، ولم يكن بالتأكيد يهمه ، هذا أو ذاك ، من المذاهب الاجتماعية المختلفة ..

قلت :

– ما اظن ان احداً منهما سوف يوفق فـيما يحاوله ، لان اوربا ، تحب ان تنعم بالسلام والطمأنينة ، في الوقت الحاضر على الأقل ..

فقال :

– نعم ولا .. ان خططهم لم تنجح كل النجاح .. ولكنهم لم يفشلوا تماماً ..

وهم يدبرون الآن خطة جديدة خطيرة.. واذا استطعت البقاء حياً لمدة شهر آخر من الزمن فسوف يكون باستطاعتي القضاء على خطتهم هذه ..

قلت : ولكنك ميت كما اخبرتني ..

وابتسم بمرارة وقال :

– سوف اصل الى هذه الناحية ، وافسر لـك ما خفي من سرها ، ولكن هناك اموراً يجب ان احدثك بهـا

قبلًا ..

واذا كنت من الذين يطالعون الصحف ، فلا بد انك قرأت شيئاً عن قسطنطين كاروليدز ..

وتحركت من مكاني قليلًا ..

ذلك اني كنت اقــــرأ بالتأكيد آخر حوادثه واخباره في صحف المساء ..

ومضى الرجل الغريب يقول :

ـ انه الرجل الذي افسد عليهم كل خططهم .. وهو الى هذا رجل مخلص امين ..

ولهذا قرروا قتله ، منذ سنة تقريبا . . وقــــد عرفت بخطتهم هذه ..

وليس معنى هذا اني اكتشفت سراً خفيـاً ، لان كل من يتتبع الحوادث والمكايد الجارية في البلقان الان ، يؤمن بان هذه النهاية لا بد ان تكون من نصيب كاروليدز..ولكني اكتشفت الطريقة التي سوف يقتلونه بها .. ولهذا اصبحت معرضاً للقتل بدوري ..

وبدأت اهتم بحديث الرجل ..

ومضى يقول :

وهم لا يستطيعون قتله في بلاده ، لانـــه تحت حراسة شديدة .. ولكنه سوف يزور لندن في الخامس عشر من شهر حزيران ليحضر مؤتمراً دولياً ، وقـــد قرروا ان لا يعود الى بلاده ابداً ..

قلت : من السهل تدبير هـــذا الامر ، بان تنـذره بالخطر الذي يهدده ، فلا يحضر المؤتمر ، ويفشل المؤتمرون . .

اجابني : اذا لم يحضر هـذا المؤتمر ، فانهم – اي خصومه – سوف يربحون القضية ، لانه الوحيـــد الذي يستطيـع تسوية المشاكل التي سوف تثار في المؤتمر . .

قلت : وما رأيك بالحكومة الانكليزية .. انهـــا طبعاً لن تسمح لضيوفها بان يتعرضوا للقتل والعدوان .. اخبرها بما تعلمه ، فيتخذون من الاحتياطات لحماية الرجل مـا يفسد على المتآمرين اغراضهم ..

– لا فائدة من هذا كله . . حتى ولو ضـــاعفوا من قوة البوليس التي سوف تقوم على حراسته ، فانه سوف يقتل ..

ان اعداءنا اقوياء بارعون .. ولكن الجريمـة لن تقع . . اذا ظل شخص يعرف اسرارها حيـاً ، حتى اليوم الخامس عشر من حزيران ، وهذا الرجل هو انا .. فرانكلين سكودر ..

ومضى سكودر يحدثني كيف استطاع الوصول الى اسرار هذه المؤامرة .. وكيف عرف المتآمرون بامره ، وكيف صدر القرار بقتله ..

ثم مضى يقول :

والواقع اني شاهدت شخصاً في الشارع خارج هذا البناء ، وكان من عادتي ان اعتصم في غرفتي طوال النهار فلا اغادرها الا ليلاً ..

وذلك لقضاء بعض مصالحي .. لمدة ساعة او ساعتين ..

وقد راقبت هذا الرجل من خلف ستائر نافذة غرفتي .. واظن اني عرفته ، وقد تقدم نحو الباب وتحدث الى البواب ..

ولما عدت الى الشقة ليلاً ، وجدت بطاقة في صندوق بريدي .. وكانت تحمل فقط اسم الشخص الذي هو آخر انسان اريد الاجتماع اليه ..

اقتنعت بعد الذي سمعته منه ، وما رأيته على وجهه ، من انه صادق مخلص فيما يقوله ويتحدث به ..

وكان ان ساورني من القلق عليه مثل ما ساوره من القلق فسألته :ا

ـ وما الذي فعلته بعد ذلك ؟

ـ تأكدت من اني اصبحت تحت المراقبة ، وان الشبكة اخذت تضيق حولي ..

لم يكن هناك فائدة من الهرب من هؤلاء الناس ..

ولهذا وجب علي أن أموت . . فاذا عرفوا بموتي تركوني وشأني ..

ـ وكيف دبرت هذا الامر .؟

وبسط لي (سكودر) الحيلة التي استعان بها للهرب من وجه مطارديه وكيف اشترى جثة احد الاموات.. وألبسه ثيابه الليلية.. ووضعه في فراشه .. بعد ان اعطى خادمه اجازة يوم يقضيه عند اهله ..

ولما كان وجه الرجل الميت ، لا يشابه وجه (سكودر) .. فقد اطلق هذا النار على وجه الميت لتشويهه .. ليظن البوليس انه اطلق النار على نفسه وانه مات منتحراً ..

ومضى سكودر يقول :

ـ وبعد ان انتهيت من ذلـــك وقفت خلف ستار النافذة

اترقب عودتك .. لم يكن باستطاعتي مغادرة غرفتي ..

فلما شاهدتك عائداً ، نزلت الدرج لاستقبالك ، وها انت تعرف الان كل ما اعرفه عن هذه القضية ..

لذت بالصمت افكر ..

لو ان الرجل كان كاذباً ، لتكلف قصة غير هذه القصة المعقدة المثيرة ، ولكني اردت التأكد من صدقه مائة في المائة ، فقلت له :

ـ اعطني مفتاح غرفتك لاشاهد الجثة ..

ـ لقد تركته داخل الشقة ، لان الاموات لا ينقلون مفاتيحهم من مكان الى آخر ، ولتعلم ان اعداءنا من الاذكياء البارعين ، ولو اتيت بالمفتاح معي ، لشك البوليس في القصة ، ولأخذ يبحث عن المفتاح الضائع ، ولانتقل الشك منه الى اعدائنا ، وما عليك الا ان تثق بي هذه الليلة ، ولسوف تقع على الحقيقة في صباح اليوم التالي ..

فكرت قليلًا .. فوجدت انه على حق ، فقلت :

ـ سوف انتظر الى صباح الغد . . وسوف اقفل عليك باب هذه الغرفة ، واحتفظ بالمفتاح في جيبي .. وهناك شيء اريد ان تعرفه يا مستر سكودر ، اني اعتقد انك صادق مخلص .. واما

اذا كنت غير ذالك . . فيجب ان انذرك باني سريـع في استعمال مسدسي . .

• • •

افقت في صباح اليوم التالي على صوت خادمي . . وكان قد عاد الى الشقة في الوقت المعين كما هي عادته . .

فذهبت اليه في المطبخ ، وانذرته ان لا يحدث ضجة لان صديقاً لي في زيارتي الآن ، وقد يقضي عندي اياماً ، ثم سألته ان يجهز لنا طعاماً . . وان يتركنا وشأننا . .

وبعد ان تناولنا طعام الافطار معاً ، تركت سكودر يقرأ صحف الصباح ، وذهبت الى شأني . .

فلما عدت الى شقتي في ساعة الغداء ، وجـــدت البواب جاهم الوجه بيّن القلق . .

سألته عن شأنه ، فقال :

— لقد وقع في هذه العمارة حادث مؤسف يا سيدي . . فان مستأجر الشقة رقم ١٥ ، قد اطلق النار على نفسه . . والبوليس الآن في شقته . .

ذهبت الى الشقة رقم ١٥ ، لعلي اقع على شيء من رجـــال

البوليس .. فلم اوفق واعتصموا بالصمت ، وسألوني ان أعود الى شقتي ، وان لا اتدخل فيما لا يعنيني ..

تحدثت الى خادم (سكودر) وكان يقف على باب الشقـــة ، فوجدت انه لم يكن يشك في شيء ، وانه كان يعتقد ان الامر عبارة عن انتحار كما تصور (سكودر) ان يكون ..

ولما ذهبت في اليوم التالي الى المحكمة ، لأسمع قرار المحقق في القضية ، وجدته لا يشك في شيء ابداً ..

حتى لقد اصدر قراره بان الحادثة عبارة عن انتحار لاسباب مجهولة ..

وعندئذ عدت الى شقتي ، واخبرت (سكودر) بما سمعته ، فسر لذلك ، وتمنى لو استطـــاع ان يحضر التحقيق ويسمع قرار المستنطق بنفسه ..

ولقد لحظت ان (سكودر) كان بادي القلق في اليومين التاليين ..

وفي اليوم الثالث بدا خائفـاً .. ليس على نفسه .. ولكن مخافة ان تفشل خطته ..

حتى لقد عرض عليّ ان يحدثني عما كتمه عني حتى الان، لأقوم انا بالمهمة ، فيما اذا تعرض هو لشر أو خطر ..

والواقع اني لم اشجعه على ذلك ..

لقد كان اهتمامي منصباً الى مغامرته هو ، اكثر مما هو منصب الى سياسته وحرتقاته ..

وكنت اعتقد ان كاروليدز ومشاكله ليست مما يهمني ، ولا هي من اختصاصي . . حتى لقد نسيت الكثير من الاخبار التي حدثني بها ..

ولكني كنت واثقاً من امر واحد قاله لي .. وهو ان الخطر على حياة كاروليدز ، يبدأ عند وصوله الى لندن ، وانه سوف يأتي من شخصيات عالية جداً لا يمكن ان يتطرق الشك اليها في حال من الاحوال ..

حتى لقد ذكر لي اسم امرأة .. (جوليا كيزني) .. كان لها علاقة بهذا الموضوع ..

كما كلمني عن حجر اسود ، وعن شخص يتعثر في حديثه، او يتمتم كما يقولون ..

وتكلم ايضاًعن شخص عجوز ، ينعم بصوت رفيع كأصوات الاطفال ويستطيع اغماض جفنيه كما تفعل الطيور ..

واما في اليوم الرابع فقد بدا اكثر بشراً وانطلاقاً ، وصرف نهاره يقرأ ويطالع ..

وفي المساء تناولت العشاء مع احد مهندسي المعادن ، وعدت الى الشقة في الساعة العاشرة والنصف ..

ولما فتحت الباب وجدت الشقة مظلمة ، فدهشت ، وحسبت

ان (سكودر) قد اوى الى فراشه باكرا ..

أضأت النور .. فلم اجد احداً في الصالة .. حيث تعود ضيفي النوم فيها .. وعلى مقعد مريح في احد اركانها ..

ادرت وجهي فيما حولي .. وفجأة جمدت في مكاني ..

ذلك اني شاهدت ضيفي ملقى على الارض ، وقـــد اخترق صدره خنجر كبير ..

- ٢ -

الهرب

جلست على المقعد القريب لا ادري ما افعل ..

لقد تولاني الخوف الشديد لاول مرة في حياتي ..

ولم اعد استطيع النظر الى الوجه الهادىء الممدد على سطح الارض ..

تناولت غطاء الطاولة القريبة ووضعته عليه ..

اخذت افكر في موقفي ..

ولم يكن سبب خوفي ، ان اشاهد جثة رجل في غرفتي .. او اني كنت انظر الى الموت ، لاول مرة في حياتي ..

كلا ، لم يكن هذا هو السبب ..

فقـــد شاهدت الموت ، اكثر من مرة ، يوم كنت في افريقيا . .

ولكن هذا الموت هزني وافقدني حاسة النطق ، لان الرجل كان ضيفي ، ولانه قتل في منزلي . .

عدت اتمالك نفسي . .

كان من واجبي ان اضبط اعصابي . .

ذلك اني كنت في حاجة الى كل هذه الأعصاب ، في الساعات التي تلي . .

نظرت الى ساعتي ، فاذا هي تقترب ، من الساعة الحادية عشرة . .

وطرأت على نفسي فكرة . .

ترى ، هل انا وحدي في شقتي ، ام ان القاتل لا يزال مختبئاً فيها ؟ .

رحت ابحث كل مكان في الشقة فلم اعثر على شيء . .

فعدت اقفل النوافـذ ، واتأكد من اغـــلاق البـاب الداخلي . .

واخذت على الأثر افكر . .

كنت قـــد استجمعت افكاري ، ورحت ادرس موقفي ..

لم يكن هناك من سبيل لعودة القاتل الى شقتي .. في الوقت الحاضر على الأقل ..

ولهذا فقد كان عندي متسع من الوقت لدرس الخطوات التي يجب علي القيام بها لتأمين سلامتي ..

وأحسست بالقلق .. لما ادركت اني لست بعيداً عن الخطر بالتأكيد ..

ولكن هذا الخطر لم يكن قريباً ، ثم كان بالامكان تفاديه ، وتجنبه اذا احسنت اتخاذ الاحتياطات اللازمة وهـــو ما اخذت ابحثه وادرسه ..

لم يكن هناك من شك ، بان موقفي ، كان جاهــــاً خطراً ..

واذا كان قد ساورني بعض الشك ، في قصة جاري القتيل ، فان هذا الشك قد انتفى بعد قتله ..

ان العصابة التي كان يخشاها ، اصبحت امراً واقعاً .. بل انها قد زارت شقتي وقتلت ضيفي ..

ولكن كيف تمكنت من قتـــله ؟.. بل كيف عرفت بسره ؟.

وعندئذ تذكرت ما كرره امامي اكثر من مرة ، وهـو ان اعداءه كانوا اقوياء واذكياء ، وانهم ليسوا من الذين يسهل خداعهم ..

لا بد انهم قد فطنوا الى ان المنتحر ، ليس الشخص المطلوب منهم ..

وليس بمستبعد ان يكون أحدهم قد ذهب الى معرض الجثث فشاهد الجثة ، وعرف الحقيقة ..

ولكن كيف عرفوا انه في منزلي ؟.

ترى هل سألوا خادمي ، فحدثهم دون ان يدري ، بالضيف الجديد الذي نزل علينا في شقتنا .. فأدركوا ان هذا هو الغريم المطلوب ..

ومهما يكن من امر ، فقد تمكنوا منه أخيراً ، واسكتوه.. ولا بد ان يأتي دوري بعده ..

لقد نزل هذا الرجل الخطر ضيفاً علي وقضى في منزلي اياماً ، ولا بد انه حدثني بما يعرفه ، وقص علي سره ، ولولا ذلك لما

سكت عليه واخفيته ، وتركت البوليس يظن انه الرجل الذي انتحر ..

ولذلك فلا بد انهم قرروا القضاء علي لاخفاء كل اثر ، والقضاء على كل دليل يدل عليهم ، او يعلم بمكايدهم ..

واذا لم أقتل اليوم ، فقد أقتل غداً ، او في اليوم الذي يليه ..

المهم اني سوف اقتل دون ما شك ولا ريب ..

فكرت في خطوة اخرى ..

ماذا لو ذهبت ودعوت البوليس ؟.

ولكني عدت اقول لنفسي .. واي قصة سوف اقصها على رجال البوليس ؟

ولنفرض اني تركت الأمور على حالها ، وذهبت الى غرفتي ، حتى اذا طلع النهار ، وجاء الخادم باروك ، وارسلته ليدعو البوليس ..

ولكني تذكرت اني تعمدت الكذب على خادمي ، لما اخفيت

الرجل المنتحر وقلت انه صديقي ..

ولنفرض اني اخبرت البوليس بكل ما سمعته منه . . لا بد انهم سيضحكون علي ..

ومن المؤكد انهم سوف يتهموننيبالجناية ، ومن السهل اثبات الجريمة علي ..

فقد كنت قليل الاصدقاء في لندن .. ولم يكن هناك بينهم من يتقدم لمساعدتي .. والدفاع عني ..

ولا بد ان هؤلاء المجرمين قد فطنوا الى الورطة التي اوقعوني فيها ..

وقد ادركوا اني سوف اتهم بالجريمة بعد ان خبأت الرجل في شقتي ..

واعلنت لخادمي انه صديق جاء لزيارتي ..

وما دامت غاية المجرمين اسكاتي ، فقد كان السجن يكفل ذلك . .

ومتى قبض علي البوليس ، انتهى امري ، ولم أعد استطيع التحدث عنهم ، او اتهامهم ، وانا لا اعرف احداً منهم ..

واذا حدث ، وصدق البوليس قصتي ، فإنما اكون قد لعبت لعبتهم ، لان (كاروليذر) ، سوف يضطر للبقاء في بلاده ..

وهو ما كان يريده المجرمون ومحاولونه ، حتى لا يتمكن من تسوية الامور المعقدة ،فتظل نذر الحرب القائمة ، وقد تقع الحرب بعد وقت قصير ..

والواقع اني اصبحت بعد موت (سكودر) من المؤمنين كل الايمان بقصته ..

ولقد ذهب الآن ، وتركني وحدي ..

من يدري فلعله فكر وهو في لحظاته الاخيرة ، اني سوف اقوم بمهمته ، بعد ان افضى الي بسرها ، وقص علي اخبارها ..

قد يظن القارىء اني أصبت بالجنون ..

لان من كان بمثل حالتي ، كان خليقاً ان يهرب من المشاكل ، ويسعى لانقاذ نفسه ..

ولا يقحمها في مشاكل جديدة ، ومخاطر لا يعرف ما تكون نتائجها ..

ولكن هذا كان موقفي ..

ولا اكتمك اني كنت شاباً عادياً كغيري من النـاس .. ولكني كنت رجـــلًا شريفاً ، نبيلًا ، اكره الاجرام ، والمجرمين ، ويؤذيني ان يظل المجرمون ، بعيداً عن صولة القانون ..

ولسوف ينجو المجرمون قتلة صديقي (سكودر) مـن القانون ..

اذا تركتهم وشأنهم وقررت الهرب بجلدي ، وهـذا ما لم اكن اريده ولا ارضاه ..

كذلك اخذت اقلب الموقف ، مدى ساعة مـن الزمن ، واخـــيراً انتهيت ، الى انه يجب عـــلي ، ان اثأر لصديقي ..

وكان علي ، للوصول الى هـــذه النتيجة ، ان اختفي عن الانظار ، مـــدة من الزمن . . حتى الخامس عشر ، من شهر حزيران ..

ثم علي ان اجد طريقة لأقص على المسؤولين قصتي . . ومـا سمعته من سكودر نفسه ..

كم تمنيت لو اني اصغيت اليه اكثر مما فعلت .. وتركته يقص علي

كل ما يعرف ..

ذلك ان ما كنت اعرفه ، لم يكن كثيراً بالتأكيد ..

وكنت اخشى ان لا استطيع اقناع المسؤولين بالنزر القليل الذي كنت اعرفه ..

ولكني قررت المخاطرة ..

وقد أملت انَ اقع في الايام المقبلة على بعض المعلومات التي تؤكد اقوالي وتؤيدها..

كان همي الأول ، ان احافظ على حياتي ، في الاسابيع الثلاثة القادمة ..

فقد كنت اليوم في الرابع والعشرين من شهر مايس .. وكان علي الاختباء مدى عشرين يوماً قبل ان احدث احداً من رجال الحكومة بقصتي .. لاتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على سلامة (كارولبدز) ، عند زيارته لندن ، في منتصف الشهر القادم ..

كان علي ان اواجه خطرين ..

اولها ، اعداء (سكودر) ، الذين سيطاردونني للقضاء علي ..

واما الخطر الثاني فهو البوليس الذي كان سيبحث عني ، بتهمة قتل (سكودر) .. بعد ان يعثر على جثته في منزلي ..

وتأكدت على الفور ان المطاردة ستكون حادة ، قاسية ، مثيرة ..

وسررت في اعماق نفسي .. لهذه المفاجأة ، التي لم أكن اتوقعها ..

لقد صرفت ثلاثة اشهر في لندن في حياة هادئة لينة ، نغصت علي حياتي ..

قررت الفرار منها الى افريقيا ..

فلما حدثت هذه الجريمة ، تبدل موقفي من الحياة في انكلترا ، واخذت استشعر بعض المرح والزهو حين وجدت نفسي مضطراً الى الدفاع عن حياتي ، ومقارعة عصابة سرية بارعة تريد قتلي ، بعد ان فتكت بضيفي ..

ولما اطمأننت الى هذا الموقف ، اخذت افكر فيما اذا كان (سكودر) قد ترك بعض الأوراق خلفه ..

مما قد يفيدني في مهمتي هذه . .

رفعت غطـــاء الطاولة عن جسمه ، واخذت ابحث في جيوبه فلم اعثر على شيء ، حتى ولا على الدفتر الصغير الاسود الجـــلد ، الذي كنت اشاهده احياناً ، يكتب فيه بعض الملاحظات . .

فقلت في نفسي لا بد ان يكون القتلة قد عثروا على هـــذا الدفتر وسرقوه . .

ثم لحظت ان بعض ادراج المكتب مفتوحة . . فادركت ان سكودر لا يمكن ان يتركها كذلك ، فقد كان كثير العناية بمثل هذه الامور الصغيرة . .

واذن فلا بد ان القتلة هم الذين فتحوا هـذه الادراج ، ولم يغلقوها بعد ذلك . .

واذا كان هذا هو الواقع ، فلا بـد انهم كانوا يبحثون عن هذا الدفتر الصغير الاسود ، بعد ان فشلوا في العثور عليه ، في جيوبه . .

وعندئذ اخذت افتش في الشقة هنا وهناك . . ولكن لم اعثر على اثر . .

لا بد ان المجرمين قد عثروا عليه ووجدوه ، ولكن ليس في جيوب (سكودر) كما يبدو ..

تناولت بعد ذلك خريطة لانكلترا ، ورحت انظر فيها مفكراً في المكان الذي يجب ان اختبىء فيه ..

كنت افضل المناطق الزراعية على غيرها ، لانها تذكرني بالارض التي عشت فيها في افريقيا الجنوبية ..

واخيراً طرأ على ذهني ان اذهب الى اسكوتلندا ، فقد كنت من اصل اسكوتلاندي ..

وكانت لهجتي لهجة هؤلاء القوم ، ولا بد ان احداً لن يفطن لسري اذا عشت بينهم مدة من الزمن ..

واخذت ابحث عن مكان في سكوتلاندا يناسبني .. فوجدت ان (غالواي) افضل الامكنة ، فتناولت دليلًا للسكك الحديدية ، فرأيت ان قطاراً يغادر لندن في الساعة السابعة والدقيقة العاشرة صباحاً ، فيصل الى اول محطة لهذه المنطقة بعد ظهر اليوم نفسه .. فسرني ذلك ، ورحت افكر في الطريقة التي اصل فيها الى المحطة دون ان يفطن احد لي ..

ذلك اني كنت واثقاً ان اعداء (سكودر) لا بد ان

يكونوا في انتظاري خارج البيت ..

ثم طرأت لي فكرة ماكرة ..

فعلت الابتسامة وجهي ، وذهبت الى غرفتي لآخذ بعض الراحة ..

وفي الساعة الرابعة صباحاً افقت من نومي .. وارتديت ملابسي ..

كما اخترت حذاء قوياً وضعته في قدمي .. وكنت قد سحبت بعض المال من البنك ، بعد نزول (سكودر) في شقتي ، فعلت ذلك لمصلحته ، حتى اذا احتاج الى بعض المال للهرب من وجه مطارديه ، قدمته له وساعدته على هربه ..

لم يبق علي إلا اتخاذ الخطوات الاخيرة ..

فقد كان خادمي (بادوك) يصل عادة الى الشقة في السابعة والنصف تماماً .. ويفتح الباب الخارجي بمفتاح خاص يحمله معه ..

وكنت اعلم في الوقت نفسه .. ان بائع الحليب يصل الى الشقة في الساعة السابعة والدقيقة العاشرة ، حيث يضع زجاجة

– تعال لحظة .. اريد ان اتحدث اليك قليلاً ..

سار خلفي الى غرفة الطعام .. حيث قلت له :

– اريد منك خدمة تفيدك ولا تضرك .. اني بحاجة الى معطفك وقبعتك لمدة عشر دقائق .. وهذا جنيه واحد لهذه الخدمة ..

وفتح عينيه دهشاً لما شاهد الجنيه وقال :

– ما الذي تريد ان تفعله .؟

فقلت : انه رهان مع صديق ، اريد ان اكون بائع حليب لعشر دقائق ، وليس عندي وقت لأتحدث اليك باكثر من ذلك ..

وما عليك إلا ان تبقى هنا ريثما اعود ، قد تتأخر بعض الدقائق عن عملك ، ولكن احداً لن يعتب عليك فالوقت لا يزال باكراً ، ولسوف تحصل على الجنيه مقابل ذلك ..

وابتسم البائع وقال :

– كما تشاء . . ولست بالتأكيد من الذين يفسدون عليك مزاجك مع صديقك . . هذا هو معطفي ، وهذه قبعتي ..

ووضعت القبعة على رأسي فاخفت وجهي .. ثم ارتديت المعطف ، وحملت صندوق الحليب بيدي ، وغادرت العمارة الى الشارع .. وانا اصفر كما كان يفعل بائع الحليب ..

وصاح البواب يطلب مني وقف صفيري ، فتأكدت عندئذ ان تنكري قد جاز عليه ، ولا بد ان يجوز على الاشخاص الذين يراقبون المنزل اذا كان هناك من يراقبونه ..

ظننت اول الامر ، لما احتواني الطريق ، ان الشارع خال من المراقبين ..

ولكني ما لبثت ان تأكدت ، اني كنت على ضلال فيما توهمته ..

فقد شاهدت بعد لحظات شخصاً غريباً يقطع الرصيف المقابل لمسكني بتؤدة وهدوء ..

كما لحظت انه كان يلقي بين لحظة واخرى نظرة على النافذة المقابلة لمسكني .. التي كان يقف خلف ستائرها رجل آخر ..

قطعت الطريق .. وانا اصفر ، كما لو كنت بائع

الحليب ..

ثم دخلت في عطفة من الشارع وبعد لحظات اختفيت عن الانظار ..

وجدت نفسي في شارع صغير خال لا يسير فيه احد من المارة . .

القيت صندوق الحليب في عطفة من هذه الارض الفضاء في هذا الشارع المنعزل ، ثم خلعت المعطف والقيته فوقه ، فظهرت عندئذ بذلتي العادية ، ومضيت في سبيلي لا الوي على شيء ..

وبعد دقائق سمعت صوت ساعة كنيسة قريبة تدق سبع دقات ..

اخذت اركض في اتجاه المحطة ، وبعد عشر دقائق لحقت القطار الذي كان قد بدأ يتحرك .. في طريقه الى ستوكهولم ..

قفزت الى القطار وجلست على اول مقعد فارغ وجدته امامي ..

وبعد دقائق جاءني عامل التذاكر يطلب تذكرتي، اعتذرت

له باني لم استطع شراء تذكرت لاني وصلت متأخراً ..

هز رأسه وقطع لي تذكرة من محفظته ..

وعندئذ بدأت مغامرتي الجديدة ..

وتبسمت حين تذكرت ،اني منذ ساعات كنت ضيق الصدر افكر في مغادرة لندن الى افريقيا .. لان الحياة فيها كانت هادئة رتيبة ، ليس فيها ما يثير المرء او يهزه ..

واما الآن فقد تبدل كل شيء ..

وبدأت المغامرات والمفاجآت ..

- ٣ -

المطاردة

ومضى اليوم ثقيلاً بليداً .. ولكن الجو كان جميلاً حقاً في شهر مايس هذا ..

حتى لقد سألت نفسي اكثر من مرة، كيف لم افطن الى جمال الريف قبل اليوم ، وسجنت نفسي في لندن ، حتى ضاق صدري وعيل صبري ، وحتى وقعت هذه المشكلة المثيرة ، فنقلتني من جو لندن العابس الجاهم .. الى الريف الضاحك الباسم ..

حبست نفسي في مكاني فلم اغادر مقعدي، ولم اذهب الى عربة الطعام ، بل لقد فضلت شراء ما احتاجه من الطعام الناشف البارد من الباعة الذين يذرعون المحطات ، ويعرضون على المسافرين ما يحملون ويبيعون ..

وبعد ان انتهيت من طعامي .. تناولت دفتر (سكودر) الاسود ..

كان مليئاً بالارقام وبعض الاسماء المكتوبة امام بعض هـذه الارقام ..

ولما كنت اعلم ان (سكودر) ليس من الذين يفعلون شيئاً دون ما سبب ..

فقد تأكدت انه لا بد ان يكون هناك وفي هذه الاسماء شيفرة تكشف ما خفي من سر هذه الارقام ..

وكانت الشيفرة من الامور التي شغلتني زمناً في حيـاتي . . وقد شغلت بها نفسي فترة من الزمن ، وكنت احب المسابقات ، واستنباط الخفي من الكلمات ، ولكن الشيفرة التي امامي كان اساسها الارقـــام لا الكلمات ، ومن هنا كانت صعوبتها وخفاؤها ..

وكنت واثقاً ان (سكودر) لا بد ان يكون قد وضـع في دفتره سر شيفرته ، فعمدت الى دراسة الارقـام العديدة التي كانت تمر بي . . والاسمـاء القليلة التي كنت اقرأها بـين وقت وآخر ..

وامتد بي الوقت ، ولم اوفق ، فان كلمة من الكلمات التي قرأتها لم تفض الي بسرها ، وأخيراً أحسست بالتعب ، فاغمضت عيني . .

لآخذ بعض الراحة ..

افقت في محطة (دمفري) عند وصول قطـــاري اليها .. غادرت حجرتي .. وانتقلت الى القطار الذي كان في سبيله الى (غالواي) ..

فلما اشرفت الساعة الخامسة ، كنت وحدي في الحجرة ، بعد ان غادر القطار كل من كان فيه من المزارعين ..

وعندئذ قررت بدوري النزول منه في محطة صغـيرة تقع في قلب ارض مجدبة ليس فيها شجر ولا ماء ..

ولم اشاهد في المحطة النائية المنعزلة ، غير ناظر المحطـة وولده الصغير ..

فأعطيته تذكرتي ، وغادرت المحطة في طريق مقفر ليس فيه انسان ولا حيوان ..

كان الربيـع جميلاً حقاً ، تعبق رائحته ، حتى ليشم المرء رائحة الارض الطيبة نفسها ..

اثارني الجو ، وأمدني بقوة لم اكن أتوقعهـا . . فاستشعرت بالسعادة وأحسست احساس الطفل الصغير وهو في طريقه الى النزهة خارج المدرسة ، وتولاني من الزهو مثل مـا كان يتولاني يوم

كنت في افريقيا .. حين اغادر منزل والدي الى خارج المدينة طلباً للنزهة والمتعة ..

ولم اكن قد ذقت طعاماً منذ ساعات . . وأحسست بالجوع الشديد حين وصلت الى كوخ احد الرعاة . . القائم بالقرب من نبع صغير ..

استقبلني الرجل وزوجته بحفاوة وكرم ، وقدما لي طعاماً حسناً ..

ثم عرضا عليّ ان أرتاح قليلاً عندهما ، ففعلت ، ويبدو انني استغرقت في نومي ، فلم افتح عيني الا في صباح اليوم التالي ..

عرضت عليهما بعض المال أجراً للطعام والمبيت ، ولكنهما رفضا قبول شيء ، فشكرتهما ومضيت في سبيلي متجهاً الى الجنوب ..

كان غرضي ان اعود الى الخط الحديدي ، وان اركب القطار من محطة تبعد قليلاً عن المحطة التي نزلت فيها ، واعود من حيث اتيت ..

لان هذا سوف يفسد على البوليس مطاردتهم لي ، فيما اذا كانوا

على اثري ، لانهم سوف يظنون اني في سبيلي للابتعاد عن لندن ، – مكان الجريمة – لا بالقرب منها او حولها .. او اني في طريقي الى مرفأ من المرافىء حيث اركب باخرة اهرب بها الى بلاد الله الواسعة ..

سرت في الارض الموحشة وقتاً طويلًا ، حتى وصلت اخيراً الى مكان مرتفع رأيت منه دخان القطار ..

فتوجهت رأساً الى المحطة ، التي كانت لحسن الحظ صغيرة ، فقطعت تذكرة ، ودخلت الى عربة وجدت فيها احد الرعاة ، ومعه كلبه الذي كان ثقيل الظل ، جاهم الوجه ، اخذت احسب الف حساب لوجوده معي ..

وكان من حسن حظي ان وجدت على احد المقاعد جريدة صباحية ، لا بد ان صاحبها تركها بعد ان قرأها ، فطالعت فيها انباء الجريمة التي وقعت في شقتي ..

كان خادمي (بادوك) عند وصوله الى شقتي ، ومشاهدة الجثة قد طلب رجال البوليس ، الذين قبضوا على بائع الحليب ، ولا بد

ان المسكين قد تعذب بعض الوقت ، ولكنه افادني بان شغل البوليس عني مدة من الزمن ..

واخيراً افرجوا عنه .. حين تأكدوا ان المجرم الحقيقي قد تمكن من الهرب ، ولم تشر الصحيفة ولو من طرف خفي الى ان البوليس يتهمني او انه في اثري ..

ولكني كنت واثقاً ان البوليس لا بد ان يكون في اثري ، وانه بالتأكيد يتهمني بالجريمة ..

ولم يكن في الصحيفة شيء هام غير هذا .. بل اني لم اقرأ شيئاً عن (كاروليدز) والسياسة في البلقان ، ولا عن الامور التي كانت تشغل بال (سكودر) ..

مما يبعث على الظن بان كل شيء هادىء في البلقان في الوقت الحاضر على الاقل ..

القيت الجريدة على المقعد ، وتطلعت من خلال النافذة الى الخارج فوجدت اننا سوف نصل الى المحطة التي نزلت فيها في اليوم السابق ..

وكان القطار الذاهب الى الغرب واقفاً فيها ينتظر وصول قطارنا ليستأنف سفره ..

كما شاهدت في الوقت نفسه ، ثلاثة رجال يغادرون القطار ، ويتقدمون الى ناظر المحطة ، يسألونه بعض الاسئلة ..

وخيل لي انهم من رجال سكوتلانديارد الذين يطاردونني .. وانهم قد تتبعوا اثري حتى هذه المحطة ..

وفي هذه اللحظة ايضاً شاهدت الصغير ابن ناظر المحطة يشير الى الطريق التي مضيت فيها بعد ان غادرت المحطة ..

فاخذوا ينظرون الى الطريق ، واخذ احدهم يكتب شيئاً في دفتره ..

ولكن قطاري تحرك قبل ان أتأكد من ذهابهم فيها لمطاردتي ام لا ..

وبعد قليل توقف القطار امام جسر صغير . . نظرت الى الخارج فوجدت نوافذ القطار جميعها مقفلة ..

فقررت مغادرة القطار ، وفتحت الباب ، وقفزت فوق بعض الاعشاب القريبة ..

وكان من الممكن بالتأكيد ان يمضي كل شيء على ما يرام ، ولكن الكلب الملعون ظن اني قد سرقت بعض اغراض سيده ، فاخذ يعوي بصوت عال ، فاستيقظ الراعي من نومه ، واخذ

يتطلع من النافذة كمن يعتقد اني في سبيلي للانتحار ..

وكذلك فعل ناظر القطار وبعض المسافرين ، ولكني تسللت بين الاعشاب ، بحيث اصبحت بعيداً عن القطار بما يقارب المائة متر ، وبعد قليل تحرك القطار وسار في سبيله ..

وضربت كفاً على كف .. لقد كنت اريد مغادرة القطار دون ان يفطن احد لأمري ..

فاذا بالكلب الملعون يفسد عليّ خطتي ، ويجعلني اغادر القطار في شبه مظاهرة ..

لقد اصبحت وحيداً لا انيس لي ..
والارض التي حولي موحشة ليس فيها انسان ولا حياة ..

ومع انه لم يكن هناك ما يوحي بوجود انسان قريب ، فقد استشعرت في نفسي وكأن احداً يطاردني ..

ولم اكن افكر في البوليس طبعاً ..

كنت افكر في الناس الآخرين .. الذين كانوا يعلمون الآن باني اعرف سر (سكودر) .. والذين اصبح همهم مطاردتي والقضاء عليّ ..

— ——— —— — —

وكنت واثقاً انهم سوف يطـاردونني باشد مما يطاردني البوليس .. وحين يقبضون علي .. فلن تكون هناك رحمة ولا من يحزنون ..

مضيت في الارض الموحشة المنعزلة مسرعاً .. متوجهاً نحو التلال التي كنت اشاهدها من بعيد ، فلما بلغتها توقفت ، واخذت انظر فيما حولي ..

وبعد قليل تأكدت ان شيئاً حولي لا يتحرك . . وفجأة سمعت أزيز طيارة في السماء ، فرفعت رأسي لأشاهد الطائرة تحوم حول المكان ..

كانت الطائرة لا تزال بعيدة عن المكان الذي كنت فيه ، وكنت واثقاً انها تبحث عني .. وانها ليست من طيارات البوليس بالتأكيد .. اخفيت جسمي خلف بعض الاعشاب ، واخذت انظر اليها ..

وبعد ان دارت حولي ملياً ، عادت فارتفعت في الجو ، ثم توجهت نحو الجنوب ، واختفت عن الانظار ..

وضاق صدري من هذه المطاردة الجوية ، واخذت افكر جدياً في المكان الذي يجب ان اختفي فيه ، بعيداً عن المطاردين

في الارض والسماء ..

لم يكن هناك حولي اشجار ولا اعشاب كبيرة تمكنني من الاختباء اذا حلقت طيارة في الجو تبحث عني ، ولهذا قررت تبديل مكاني .. واختيار مكان افضل واضمن ..

في الساعة السادسة خرجت من الارض الموحشة ، ووصلت الى جسر حيث شاهدت منزلاً منفرداً . . كما شاهدت شاباً مستنداً الى حافة الجسر يدخن غليوناً ، وينظر الى الماء تحته ..

هتف يقول لما شاهدني :

– مساء الخير .. انها ليلة تصلح للنزهة بالتأكيد . .

شممت رائحة اللحم تعبق من المنزل ، وكنت جائعاً فسألته :

– هل هذا نزل او فندق ؟.

قال : اني في خدمتك .. وانا صاحب هذا المنزل ، وارجو ان تبقى يوماً او اكثر عندنا ، فاني بالتأكيد لم اشاهد غريباً منذ

اسبوع ..

ومضى صاحب النزل يحدث ـ المستر هاني ـ عن حياته الهادئة هذه، وكيف انه بحاجة الى بعض الاحداث والمغامرات ليتمكن من وضع الكتب ، وتأليف الروايات ..

وضحكت وقلت له :

ـ لقد اتتك المغامرات الى باب دارك ..

ومضيت اقص عليه كيف ان عصابة تطاردني من جنوب افريقيا ، وكيف انها تمكنت من رفيقي (سكودر) فقتلته ، وهي الان تريد قتلي ، وان البوليس يطاردهم بدوره ..

وسألته بعد ان قصصت عليه قصتي هذه :

ـ هل تصدقني ؟.

واجابني وهو يشد على يدي :

ـ طبعاً اصدقك .. اني اصدق دائماً كل الحوادث الغريبة .. واما العادية فلا ..

وكان شاباً صغير السن ، فاطمأننت له ، ووثقت انه الشخص الذي سوف يستطيع مساعدتي ..

مضيت اقول :

- والذي اعتقده انهم لم يوفقوا حتى الان في تتبع اثري ..

ولهذا فان من مصلحتي الاختفاء يوماً او يومين ، فهل تقبلني ضيفاً عندك ؟.

وبدأ السرور واضحاً جلياً على وجهه ، ومد يده يصافحني ويمضي بي الى منزله ، وهو يقول :

- باستطاعتك الاختفاء عندي وهو مكان امين بالتأكيد ، ولا بد انك سوف تقص علي المزيد من اخبارك ومغامراتك . .

ودخلت الى المنزل ، وبعد لحظات سمع صوت طائرة بعيدة تحلق في طبقات الجو ..

لم اغادر غرفتي في الطابق الاول في اليوم التالي ..

وصرفت يومي في الكشف عن اسرار دفتر (سكودر) .. ذلك اني لم اكن قد نجحت حتى الان في معرفة سره ، والكشف عن شيفرته ..

فلما كانت الساعة الثالثة طرأت على رأسي فكرة مفاجأة ..

وتذكرت اسم (جوليا كيز مثيني) .. لقد سمعت من (سكودر) انها كانت مفتاح قضية (كاروليدز) .. فهل تكون مفتاح الشيفرة ايضاً ..؟

وهزتني الفكرة ، واخذت اعمل واحسب وادقق واقارن ..

وبعد نصف ساعة وجدت ان ما توقعته قد اصبح امراً واقعاً .. فأخذت اقرأ محتويات الدفتر بسهولة ، وباهتمام زائد ..

ولما رفعت رأسي انظر الى الارض عبر النافذة ، شاهدت سيارة كبيرة في طريقها الى الفندق الصغير ..

وقفت بعد لحظات امام باب الفندق ، وخرج منها رجلان ..

وبعد دقائق عشر انسل صاحب الفندق الى غرفتي ، وعيناه تلمعان وهو يقول :

ـ يوجد عندي رجلان يبحثان عنك .. وهما يتناولان الان

بعض الشراب في صالة الطعام ، وقد سألاني عنك ، وتمنيا ان يشاهداك هنا ، وقد وصفاك بما لا يدع مجالاً للشك بانك الرجل المطلوب ..

وكان جوابي انك كنت عندنا البارحة ،وانك غادرت المكان على ظهر دراجة هذا الصباح ..

سألته عن شكلهما .. فقال :

ـ احدهما دقيق اسود العينين ، والثاني ضخم يلثغ عندما يتكلم .. ولا اظن انهما من الاجانب ..

اخذت ورقة وكتبت عليها ما يلي كما لو كانت تتمة تحرير كنت بدأت به :

« الحجر الاسود .. كان سكودر يعرف ذلك ، ولكنه لم يكن يستطيع العمل قبل اسبوع او اسبوعين ..

واما انا فلا استطيع عمـــل شيء الان ، خصوصاً وان (كاروليدز) لم يستقر على خطة معينة ، واما اذا كان المستر ت .. يرى رأياً آخر ، فاني مستعد .. »

ثم قلت لصاحبي :

ـ خذ هذه الورقة اليهما . . وقل لهما انك عثرت عليها في

غرفتي بعد ذهابي . . واسألها ان يعطياني الورقة اذا شاهداني في الطريق ..

وبعد دقائق سمعت صوت السيارة . . فوقفت خلف ستارة النافذة اترصد الرجلين ، وبعد لحظات شاهدتهما بعيني .. كان احدهما رفيقاً رفيعاً والثاني ضخماً كبيراً ، تماماً كما قال صاحبي ..

وبعد لحظات تحركت السيارة ، وجاء الي صاحب النزل يقول :

– لقد هزتها ورقتك هزاً .. فقد ابيض وجه الرجل الرفيع الجسم ، حتى شابه الاموات ، واما الضخم فقد اخذ يصفر ،وبدا عليه الغضب الشديد . .

وعندئذ نصحت صاحب الفندق ان يطلب البوليس من القرية القريبة ، لان الرجلين سوف يعودان اذا لم يعثرا علي في الطريق ..

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، وصل ثلاثة من رجال البوليس الى المنزل ..

وبعد عشرين دقيقة ، شاهدت من نافذة غرفتي سيارة ثانية

تتقدم من الطريق المعاكس ..

ولحظت ان هذه السيارة لم تقترب من باب المنزل، بل وقفت بين الاشجار على بعد مائتي يردة من الباب ..

وقد ادار جهتها السائق قبل ان يقف بها ، نحو الطريق الذي سوف يمضي فيها بعد انتهاء هذه الزيارة ..

وبعد دقائق سمعت صوت خطوات الرجلين على عتبة الباب الخارجي ..

وكانت خطتي ان اظل مختبئاً في غرفتي في انتظار ما سوف يكون ..

وكنت قد فكرت باني لو استطعت ان اجمع بين رجال البوليس وهؤلاء المجرمين .. فان شيئاً قد يحدث لمصلحتي ..

ولكني رايت الآن خطة افضل من خطتي الاولى ..

كتبت كلمة شكر لصاحب المنزل .. ثم فتحت النافذة ، وقفزت فوق الاعشاب المحيطة بالمنزل ..

لم يشاهدني احد ، ولا فطن لهربي انسان ..

وبحذر وهدوء قطعت الطريق ، ومضيت نحو الاشجار القريبة ، حيث وضع المجرمان سيارتهما ..

وبعد لحظات كنت اسوق السيارة بسرعة مبتعداً عن المكان باقصى ما يكون من السرعة ..

واظن ، وفي هذه اللحظة .. اني سمعت خلفي اصواتاً تصيح وتشتم . . لا بد انها كانت اصوات الرجلين صاحبي السيارة ..

- ٤ -

الاجتماع

لو شاهدتني وانا اندفع بالسيارة الكبيرة في الطريق الوعر الموحش ، لأدهشك هدوئي وايماني بنفسي ..

لقد كنت انظر خلفي بين وهلة واخرى ، لأتأكد فيما اذا كان هناك من يتبعني ولكني لم اشاهد احداً ..

وبعد قليل هدأت في مكاني ، واخذت افكر في (سكودر) ودفتره الاسود ..

ذلك انه بعد اطلاعي على ما في الدفتر وجدت ان صاحبي (سكودر) قد قص عليّ الكثير من الاكاذيب ..

فكل ما حدثني عنه فيما يتعلق بالبلقان والثورات فيه ، وكاروليدز كانت اخباراً صورها واجراها فيما يوافق هواه ..

ولكنه لم يستطع انتحال كل شيء ، وقد جاء كتابه اخيراً يقص قصة جديدة .. كنت اكثر ايماناً بها من قصصه السابقة ..

فقد فهمت من حديث (سكودر) ان اليوم الخامس عشر من شهر حزيران سيكون يوماً مشهوداً ..

ولكن خطر هذا اليوم في كتابه يتعدى ما سمعته منه وقصه عليّ ..

والواقع اني لما وقعت على الحقيقة لم المه ، ولا عتبت عليه ، فقد كان الامر من الخطورة بحيث اعتذرت له على الاحتفاظ به لنفسه ..

فقد كان يحاول ويريد ان يدبر كل شيء بنفسه، مع مايتعرض له من خطر عظيم في سبيل ذلك ..

ولكن هناك اموراً في دفتره لم افهمها ولم اقع على سرها ، كخبر التسع والثلاثين درجة ..

وارتفاع البحر او وقوع المد في الساعة العاشرة والدقيقة السابعة عشرة من الصباح في يوم من الايام .. اي بعد تسعة عشر يوماً من هذا اليوم ..

واما ما عدا هذا فقد فهمته ووقفت على سره ..

عرفت مثلاً انه من المستحيل منع نشوب الحرب العالمية . . فقد كانت امراً واقعاً لا سبيل الى ردها ولا دفعها ..

وكانوا قد احكموا تدبيرها منذ سنة ١٩١٢ ..

واختاروا (كارولبدز) ليكون السبب المباشر لها.. فقد تقرر ان يقتل في الرابع عشر من شهر حزيران ، وسيكون مقتله سبباً في اثارة القلاقل في بلاد البلقان ، مما يستدعي تدخل النمسا ، وهو ما يزعج روسيا ، فتتوعد وتهدد ..

وتتدخل المانيا لمحاولة ازالة الخلاف ، واصلاح ذات البين . . حتى اذا وجدت سبباً للخصومة هاجمتنا ..

هذه هي الفكرة .. كلمات طيبة لينة في اول الامر ، ثم هجوم مفاجيء بعد ذلك ..

وفيما نكون نحن في الوقت نفسه نتحدث عن نوايا المانيا السامية ورغبتها في المحافظة على السلام .. تكون المانيا قد بثت الالغام حول مرافئنا ووزعت غواصاتها، بحيث لا يبقى باستطاعة بارجة من اسطولنا مغادرة المرافيء دون ان تتعرض ر الداهم ..

وكان كل هذا يتوقف على امر ثالث ..

سوف يقـــع في الخامس عشر ، من الشهر نفسه ... حزيران ..

ففي هذا اليوم سوف يصل الى لندن قادماً من باريس رجل كبير ليبحث مع المسئولين الخطـــة الحربية السرية ، لفرنسا وانكلترا ..

وكان من المنتظر ان يحصل وهو في لندن على كشف رسمي بمكان الاسطول الانكليزي وتحركاتـــه في وقت الحرب ..

ولكنه لن يكون وحده في لندن ..

سوف يأتي الى العاصمة الانكليزية جماعة آخرون .. هم اعداء الحكومة الانكليزية ..

وقد اسمـاهم (سكودر) في دفتره الاسود بعصابة (الحجر الاسود) ..

وسيعمل هؤلاء للحصول على الوثيقة السرية بحركات الاسطول الانكليزي ..

وسيشعلونها بعد اسبوع واحد ، وفي ليلة مظلمة من ليـــالي

الصيف ضد اسطولنا ..

...

كان اول ما فكرت به ان اكتب الى الحكومة الانكليزية بما وقعت عليه ..

ولكني عدت اسأل نفسي :

– من يصدقني اذا فعلت ذلك ؟.

كان عليّ ان اقدم بعض الوثائق التي تؤكد او تثبت صحة اقوالي ..

وليس بين يدي منها غير هذه الشيفرة التي قد لا يؤمن بها المسئولون ..

وكان علي فوق هذا ان احافظ على حياتي .. حتى منتصف الشهر القادم ..

وكيف يكون باستطاعتي ان افعل ذلك ، وبوليس سكوتلانديارد ، وجماعة (الحجر الاسود) خلفي ..

اتجهت بالسيارة شرقاً مدة طويلة من الزمن ، حتى اشرفت اخيراً على قرية صغيرة قررت تناول طعامي فيها ..

اخذت اسير على مهل .. فلما اشرفت على مركز البريد ، وجدت شرطياً واقفاً على بابها ، يقرأ برقية لا بد انها وردته الساعة ..

فلما شاهدني رفع يده وطلب مني الوقوف ..

وفكرت ان انزل عند طلبه واتوقف ، ثم خطر لي خاطر مريع ..

ماذا لو كانت البرقية خاصة بي ؟

ضغطت على البنزين ، فاندفعت السيارة كمن مسها عفريت ، فحاول البوليس القفز على درج السيارة ، ولكني دفعته بيدي فارتد عني ..

تأكدت عندئذ ان الطرق العامة اصبحت تحت المراقبة ، وكان من السهل طبعاً ان يبرق مركز البوليس الى كل القرى التي يمكن ان امر بها لايقاف سيارتي والقبض عليّ ..

واذاً فقد اصبح من واجبي ، وحفظاً على سلامتي ان اتجنب الطرق العامة وأسير في الطرق المنقطعة ..

لقد كان من الخطأ بالتأكيد سرقة سيارة يمكن ان تعرف حالاً لضخامتها ولونها الاخضر ..

وفكرت اني لو تركتها في مكان قريب وسرت على قدمي ، فانهم سوف يعرفون مكاني ، او يتتبعون آثاري بعد ساعة او ساعتين ..

وبعد مدة قصيرة سمعت صوت الطيارة في الجو ، كانت بعيدة عني عدة اميال فقط . .

ولكنها كانت بالتأكيد في طريقها الي .. وفي هذه الارض الموحشة العارية كنت تحت رحمتها ، فلا حرج اختبىء فيه ، ولا اشجار ضخمة اختفي تحتها ..

اسرعت في الطريق المنحدر بقدر ما استطعت ، حتى وصلت الى حرج صغير ..

وفجأة .. ومن الجهة الشمالية سمعت صوت سيارة .. تقترب مني . .

ولحظت في الوقت نفسه ، اني اقف امام باب منزل يصدر منه طريق خاص يؤدي الى احد المناجم ..

حاولت وقف السيارة فلم اوفق . . وكانت هنـــاك سيارة اخرى في طريقي ..

واحسست ان فاجعة مرعبـــة سوف تقع .. فعلت الشيء

الوحيد الذي كان يجب علي ان افعله ..

اندفعت نحو الغابة الصغيرةالتي كانت الى يميني، مؤملًا ان أجد ارضاً ثابتة أمامي ..

ولكني كنت مخطئــاً .. فقـد اندفعت سيارتي نحو الغابة المليئـــة بالاعشاب الكبـيرة كالسيل الجارف ، ثم سقطت ..

ذلك اني وقعت فيبحيرةصغيرةدون ان ادري ، ولكن الحظ كان لا يزال الى جانبي ..

فقد تمكنت قبل سقوط السيارة وانقلابها ، من التعلق بغصن شجرة قريبة ، ريثما مرت السيارة تحتي،واستقرت في مـاء البحيرة الصغيرة ..

اسرع صاحب السيارة الاخرى لمساعدتي ، وحملني معـــه في سيارته الى منزله القريب ..

حيث قدم لي بذلة بدلاً عن بذلتي التي تمزقت وبعض الطعام والقهوة ..

وكان الشاب المنقذ من الشبـــاب الذين يشقون طريقهم في المعترك السياسي ..

وكنت قد قدمت نفسي لهذا الشاب السياسي على اني ادعى المستر (تويزدوم) ..

فلمـا انتهيت من طعامي وقهوتي ، توجه إلي الشاب يقول :

ـ لا اكتمك يا مستر (تويزدوم) اني في مأزق .. فان علي ان اتكلم في اجتماع حزبي الساعـة الثامنة من هذه الليلة ، في (باتلبورن) ..

وكان من المفروض ان يتكلم معي رجل منظـور كبير ، ولكنه ابرق يعتذر لأسباب طارئة .. ولمرض تعرض له ..

ولست استطيع الكلام اكثر من عشر دقائق ، فهل باستطاعتك مساعدتي ..؟ لان الجميع ينتظرون رجلاً غريباً يحدثهم ويتكلم اليهم ..

• • •

أسقط في يدي .. ذلك اني لم اكن من السياسيين .. ولا من الخطباء المحدثين ..

ولكني لم اعثر على وسيلة اخرى تمكنني من الوصـــول الى غرضي ..

فقد كان صديقي السياسي غارقاً في مشاكله السياسية والحزبية، بحيث لم يكـن يملــك الوقت الـكافي للتفكير في مشاكل غيره ..

حتى انه لم يجد كبير امر في دعوة شخص لا يعرفه ليعاونه في الخطابة في اجتماع سياسي يهمه نجاحه ..

قلت : اني مسرور اذا استطعت خدمتك ، ولكني لست من رجال السياسة ..

ولهذا فان ارضاك ان اكلم المجتمعين عن مغامراتي في جنوبي افريقيا .. فعلت ..

وبدا السرور على وجه الشاب ، واستشعرت كأن هماً كبيراً قد انزاح عن صدره ، وقدم لي معطفـــاً ، ولم يسألني كيف لم اجلب معطفي معي وانا اسوق السيارة . . ثم ذهبنـــا الى قرية (باتلبورن) ..

وفي الطريق حدثني عن شأنه واخباره .. وسررت حين علمت ان له عماً يعمل وزيراً في الحكومة القائمة ..

ولما مررنا باحدى القرى ، اشار لنـــا شرطيان بالوقوف ، وبعد ان وجها نور مصباحها الكهربائي الى وجهنا هتف احدهم :

— المعذرة يا سير هاري .. ولكن وصلتنا اوامر بالبحث عن سيارة معينة ..

وقال رفيقي : يسرني ان اكون في الخدمة ..

وشكرت الله في قلبي للحظ الذي كان يلازمني .. فلو كنت بمفردي ، ولو لم اعـــثر على هذا الشاب ، لسقطت في الفخ بالتأكيد ..

ولم يوفق السير هاري في خطابه امام الخمسمائة شخص الذين حضروا الاجتماع ..

فقد راح يتحدث عن المانيا، وكيف ان الاشاعات التي تقول انها تريد الحرب وتسعى لها ، لا اصل لها ولا حقيقة ..

وانـــه لو كان عضواً في مجـــلس العموم .. لطـالب بتخفيض التسلح .. ولصرف هذا المال في المشاريـع العمرانية والاجتماعية ..

ولما جاء دوري تحدثت عن الحياة في استراليا ، وما شاهدته

وروايته فيها ..

فكان اهتمام الحضور بحديثي هذا اكثر من اهتمامهم بحديث صديقي السياسي ..

وفي طريق العودة ، بدأ صديقي فرحاً مسروراً من نجاح الاجتماع ..

وراح يقول :

ـ والان عليك ان تأتي معي الى منزلي . . اني وحدي فيه كما رأيت ..

وأكون مسروراً لو صرفت عندي يومين او اكثر ، تذهب لصيد السمك ، ونتحدث ونتندر ، ولن تندم على على ذلك ..

وبعد الطعام الجيد،اخذت افكر في ان الوقت ازف لاحدث صديقي بقصتي ومشاكلي ..

وكنت قد اطمأننت الى اخلاصه،وانه الرجل الذي يستطيع خدمتي ..

قلت : اسمع يا سير هاري . . عندي شيء مهم اريد ان احدثك به . .

انت رجل طيب مخلص ، ولكن من الذي اقنعك بالمعلومات الفارغة التي سمعتك تتحدث عنها الليلة ..

واجابني بحزن :

– اكان حديثي بهذه الدرجة من الفشل ؟.

لقد حدثتني نفسي بانه كان ضعيفاً .. ولا اكتمك اني اخذت معلوماتي هذه من الصحف والكتب ..

ولكن هل تعتقد ان الالمان سوف يعلنون الحرب علينا ؟.

– عليك ان تنتظر ستة اسابيع فتسمع الجواب على سؤالك هذا ..

اعطني اهتمامك نصف ساعة من الزمن ، فاقص عليك قصة غريبة ..

بدأت اقص عليه القصة من اولها الى اخرها . . منذ زارني (سكودر) في منزلي حتى ساعة لقيته ميتاً فيه ، وكيف هربت من وجه البوليس والعصابة التي تطاردني ، حتى وصل بي

المطاف اليه ..

وكان اهتمام السير هاري ظاهراً بحديثي ، حتى لقد اخذ يذرع الغرفة جيئة وذهوباً وهو بادي الاهتمام والتأثر ..

واخيراً ختمت قصتي قائلاً :

ـ وكذلك ترى ان الرجل الذي تستقبله الان في منزلك مطلوب من البوليس بتهمة القتل .. وواجبك يقضي عليك بانذار البوليس بامري ..

ولا اعتقد اني استطيع الهرب الان .. فان العصابة سوف تطاردني حتى تقضي عليّ ..

ولكن هذا لا يجب ان يهمك او يمنعك عن القيام بواجبك ..

ونظر الى وجهي ملياً ثم قال :

ـ ما الذي كنت تعمله في جنوبي افريقيا يا مستر هاني ؟.

ـ كنت مهندس معادن ..

ـ هذا عمل يفرض على صاحبه ان يكون قوياً

جريئاً ..

وضحكت وقلت :

ـ اني لست خائفاً .. ولا انا ممن يخافون . . وتناولت سكيناً من على طاولة الطعام ، والقيتها في جو الغرفة ، ثم تناولتها باصابعي .. وانا اقول :

ـ ان عملاً كهذا يحتاج الى اعصاب قوية ..

ابتسم وهو يراقبني ثم قال :

ـ اني لست بحاجة الى ما يؤكد لي قوتك .. قد اكون سياسياً ضعيفاً ، ولكني من الذين يحسنون الحكم على الاخرين ..

وانا اعتقد انك تقول الحقيقة ، والان ما الذي تطلبه مني ؟.

ـ عليك ان تكتب الى عمك في الوزارة . . لاني بحاجة ماسة الى الاجتماع الى المسؤلين قبل منتصف الشهر القادم . .

ـ عمي لن يستطيع مساعدتك .. لان مشكلتك تتعلق بوزارة الخارجية ..

وقد لا يصدق عمي قصتك ، ولكن الافضل ان اكتب الى السكرتير الدائم لوزارة الخارجيـــة فهو من انسبائي ايضاً .. ومن افاضل الناس ..

حدد ما تريده مني ..

وجلس على مكتبه يكتب ما كنت امليه عليه .. اذا جاء رجل يدعى تويزدوم ، وطلب مقابلة الوزير ، فهل هو مستعد لسماع ما سيقوله له ..

وسيكون شعاره حين يطلب هذه المقابلة ، ان يذكر هذه الجملة (الحجر الاسود) ..

ومضى السير هاري يقول :

– وستجد نسيبي هذا ، واسمه السير والتر بوليفان في كوخه الصغير في (ارتينسول) .. وما دمنا قد انتهينا من هذا فما الذي تريده ايضاً ؟.

قلت : انك في مثل جسمي وانا بحاجة الى بذلة من بذلك ، وخريطة للمنطقة .. ووصف لها ..

واذا جاء البوليس اليك يبحثون عني .. أرهم السيارة في

لسافية ، واذا قصدت جماعه · ـبر الاسود ، اخبرهم اني ذهبت جنوباً في القطار بعد ان اجتمعت اليك . .

وعدني ان يقوم بكل ما طلبته منه .. وتمددت على المقعد آخذ نصيبي من الراحة ، وفي الساعة الثانية صباحـــاً ايقظني .. واعطاني دراجة قديمة ..

واشار الى الطريق التي يجب ان اسلكها ، لأصل الى التلال عنـــد طلوع الفجر . . وعندئـذ ودعتـــه وذهبت في سبيلي . .

ولما اصبح الصباح وجدت نفسي حقاً في الارض الخضراء حول الهضبات والتلال الجميلة ، التي تحيط بهـــا الأودية من الجانبين ..

وهنا بالتأكيـد كما خيل لي .. سوف اسمع اخبـــار اعدائي ..

جلست على الارض بجانب الطريق ابحث موقفي ..

كان باستطاعتي ان اشاهد كل ما حولي لمسافات بعيدة.. بحيث كان من المستحيل ان اؤخذ على حين غرة ..

واذا استثنينا الدخان الذي كان يصدر من كوخ يبعد عني نصف ميل تقريباً ؛ فاني لم اشاهد اثراً لانسان ..

وفجأة سمعت صوت الطائرة في الجو .. فأدركت ان الموقف اصبح حرجاً ، ما دام خصومي يطاردونني جواً وارضاً ، خصوصاً وان المكان الذي انا فيه كان عارياً إلا من الاعشاب الخضراء ، التي لم تكن مما يساعد على الاختفاء والاحتجاب . .

رحت افكر في موقفي ، فيما راحت الطائرة تحوم حول التلة التي كنت في اعلاها ..

ولا بد ان من كانوا فيها شاهدوني ، لاني رأيت اثنين منهم ينظران الى جهتي بالمنظار الذي كان كل واحد منهما يحمله بيده ..

وعادت الطائرة تحلق فجأة – بعد ان تأكد ركابها من وجودي هنا – كما ظهرت فجأة ..

واذن فقد عثر علي خصومي . . وستكون الخطوة التالية تطويق المكان الذي كنت فيه ..

ولا بد ان من كانوا في الطائرة قد شاهدوا دراجتي .. وسيظنون اني سأحاول الهرب في الطريق المفتوح ..

وقد استطيع الافلات منهم اذا اتجهت نحو الارض المعفرة القاحلة يميناً او شمالاً .. البعيدة عن الطريق الرسمي المسلوك ..

تقدمت بالدراجة مسافة مائة متر ، ثم القيتها في بحيرة صغيرة عميقة ، ثم تسلقت مكاناً استطيع منه رؤية الطريق ، فلم اشاهد فيه حركة ولا انساناً ..

والواقع انه لم يكن هناك وفي هذه الارض مكان اختبىء فيه .. او الجأ اليه ..

حتى لحسبت نفسي في قفص يستطيع اعدائي الاحاطة بي من جميع الجهات ..

مضيت في سبيلي حتى وصلت الى ارض عالية اخرى .. اخذت اتطلع منها فيما حولي ..

شاهدت من بعيد جماعة يتقدمون نحو الارض ، وكانوا بالتأكيد يبعدون عني مسافة ميلين على اكثر تقدير ..

اسرعت اهرب وانا اراقب التلال حولي .. وخيل لي بعد قليل اني اشاهد فيها اشخاصاً يقتربون مني او

يطاردوني ..

واذا احيط بالمرء من جميع الجهات كما حـدث لي الان ، فليس امامه إلا البقاء في مكانه ، ولكن كيف اختبىء او اختفي في هذه الارض الجرداء ..

لو شاهدت ارضاً موحلة امامي لما ترددت في اخفاء نفسي تحت الوحل نفسه . .

ولكن الارض كانت قاحلة كما قدمت ليس فيهـا شجرة ولا شيء يخفيني عن الانظار ..

اخذت ازحف من مكاني حتى وصلت الى منعطف في الطريق ..

شاهدت فيه عاملاً ممن يعملون في اصلاح الطرق ، قد وصل الان لعمله ، وكانت الساعة السابعة ، والقى بالمطرقة ارضاً ووقف باهتاً تعباً ..

رفع رأسه الي لما شاهدني وقال :

ـ لقد اخطأت ، حـين تركت رعي الغنم الى خدمـة الحكومة ..

كنت حاكم نفسي ، واما الان فانا عبد لغيري .. مربوط

بعملي .. مع تعبي وعنائي ..

تناول المطرقة ، وضرب بها حجراً ، ثم عاد يلقي بها ارضاً ، وهو يضع يده على رأسه .. ويقول :

ـ ما اشد وجع رأسي .. لن استطيع المضي في عملي .. سوف اعود لمنزلي ، وليفعل المراقب ما يريد ..

سألته عن شأنه فاخبرني انه احتفل بزواج ابنته البارحة ، وانه شرب كثيراً في الحفلة ، ولهذا فهو لا يستطيع عملًا اليوم من شدة الاعياء ، مع شدة الحاجة لبقائه .. لأن المراقب سوف يزور المكان اليوم .. ويهمه الاطمئنان الى العمل في الطريق ..

ولما فهمت منه ان المراقب جديد ، وانه لم يشاهد العامل قبلًا ..

عرضت عليه القيام بالعمل مقامه ..

فسر وانشرح صدره ، فاستعرت نظارته ، ومعطفه البالي ، واعطيته ملابسي ليحفظها في منزله ، وبعد ان شرح لي ما يجب علي عمله .. وبسط لي واجباتي ومهمتي ..

ودعني وعاد من حيث اتى .. وانا ادعو الله ان يصل الى

منزله قبل ان يراه احد في الطريق . .

وما كاد يغيب عن نظري حتى رششت جسمي وحذائي ووجهي بالتراب ، كما لو اني عامل قديم . .

وبدأت في اصلاح الارض ، وتصفيف الحجارة ، ومضيت اعمل اكثر من ساعتين دون ما توقف ، حتى اصلحت قسماً حسناً من الطريق . .

ثم جلست على قارعة الطريق اتناول الطعام المتواضع الذي تركه لي العامل . .

فلما انتهيت من طعامي عدت الى عملي ، وانا اراقب الطريق من طرف عيني ولكني لم اشاهد احداً . .

وبعد قليل اقبلت سيارة صغيرة توقفت امامي ، واطل منها شاب صغير سألني :

ـ هل انت الكسندر تورنبول المسؤول عن هذه الطريق ؟.

فلما اجبته بالايجاب قال :

ـ اني المراقب الجديد ، ويهمني ان تعنى بالطريق الى مسافة ميل واحد . . فانها تحتاج الى بعض الاصلاح

والتعبيد ..

قلت : سأفعل ..

قال : الى الملتقى ..

ومضى في سبيله ، بعد ان اطمأن لعملي،وقد سرني ان جازت عليه حيلتي ..

ورجوت من اعماق قلبي ان تجوز على خصومي الخطرين ..

- ٥ -

المنزل المرعب

وصلت السيارة الكبيرة عند الظهر تماماً . . حيث توقفت الى جانبي ، ونزل منها رجلان .. تقدما نحوي ..

عرفت فيهما الرجلين اللذين سألا عني صاحب المنزل، في اليوم السابق ..

كان احدهما دقيق الجسم رفيعه ، والآخر ضخماً ، يتعثر في حديثه ، فسلم علي الكبير ، وسألني فيما اذا كان عملي متعباً شاقاً ..

اجبته بهدوء ، وبلهجة الشخص الذي لم يذهب الى مدرسة ، ولا كتاب :

- لو كان الامر لي ، لفعلت ما تفعلان ، اذرع الدنيا بسيارتي ..

ولحظ المتكلم حذائي ، ولفت نظر رفيقه بالالمانية اليه ، ثم سألني :

ـ ان حذاءك هذا ، ليس من صنع القرية بالتأكيد ..

ـ هو ما تقول .. فقد اعطانيه احد الصيادين ، في السنة الماضية ..

فقال الرجل الضخم يخاطب رفيقه :

ـ دعنا نذهب فليس هذا الرجل صاحبنا ..
واخيراً سألني :

ـ هـــل مر بك شخص ، في هذا الصباح ، على دراجة او اجلاً ؟.

ـ لقد تزوجت ابنتي البارحة ، وتأخرت قليلاً في النوم ، فلم يمر امامي غير المراقب ، والخباز ، وانتما ..

وسار الرجلان في سبيلهما ، ومضيت في عمـلي ، وخشيت ان انا تركته ان يعودا بعد قليل ، فيفطنا للخدعة ..

وقد عادا بالتأكيد بعد عشر دقائق ، ولوح الضخم بيده لي .. ثم غابت السيارة عن الأنظار ..

لم اغادر عملي ، الا في الساعة الخامسة ، اي عند انتهـــاء

العمل ..

اعتزمت الذهاب الى منزل العامل حيث استرد ثيابي ، وارد له اغراضه ، ثم امضي في سبيلي ..

وفجأة اقبلت سيارة ، عرفت في ركابها رجلاً كنت اجتمعت به في لندن ..

كان همه الترويج لبيع اسهم بعض الشركات ، ولكنه كان ثقيل الظل مغروراً ..

كنت اكرهه واضيق صدراً بحديثه ، وقد حاول غير مرة اقناعي بشراء بعض الاسهم فرفضت ..

لما رأيته في وجهي ، قررت الافادة من وجوده ، فقفزت الى جانبه وقلت له :

ـ هالو جوبي كيف حالك ؟.

ودهش الرجل لهذه المفاجأة وسألني بفزع :

ـ من انت ؟

ـ اسمي هاني .. من جنوبي افريقيا .. الا تذكرني ؟.

وصاح مذعوراً : يا الهي القاتل !.

وقلت له بهدوء :

ـ وستقع جريمة ثانية ، اذا لم تخلع معطفك حالاً ، وهـذه القبعة ..

وفعل الرجل ما قلته له وهو يرتعد خوفاً ..

وضعت معطفه الجميل فوق ملابسي القذرة ، واخفيت رأسي بقبعته ..

ثم وضعت قبعة العامـل القذرة على رأسه ، وأمرته بان لا يتحرك من مكانه ، في ركن السيارة . . او اضطـــر الى قتـله ..

وكانت خطتي ان اعود بسيارته الصغيرة من الطريق التي اتى منهـا ..

واذا كان هناك من يراقب الطريق ، ظنوني اياه ، فتركوني وشأني لا يحركون ساكناً ..

وقد نجحت خطتي كل النجاح ، فعدت في الطريق التي اتى منها ..

وشاهدت بعض الغرباء على اطراف الطريق، يراقبون المارة ، وقد تركوني أمر دون سؤال ولا جواب ..

فلما عدت ، بعد هـــذه الرحلة الجميلة ، اعدت اليه

معطفه وقبعته ..

واسترجعت قبعة العامل وانا اقول :

ـ يمكنك ان تذهب الان .. وباستطاعتك اخبار البوليس ايضاً اذا شئت ..

واسرع الرجل ، لا يلوي على شيء ، بعد ان رددت اليه سيارته ..

واما انا فقد قضيت ليلي في مكان منعزل بالصحراء ، خلف صخرة كبيرة ..

وكانت ليلة باردة ، وكنت قد تركت معطفي ، عند عامل الطرق ..

وكذلك تركت دفتر (سكودر) الذي كان في جيب المعطف وغيره من الاشياء الصغيرة ..

ولكن البرد لم يمنعني من الاستمتاع بهذه المطاردة المثيرة، التي كنت بطلها الاول ..

والواقع ان النجاح قد حالفني حتى الآن ..

وكنت ارجو ، بل وأؤمل ، ان يظـــل يحالفني ، الى النهاية ..

واذا استثنينا البرد الذي احسست به، والذي كنت استطيع احتماله ، فان الجوع كان يسبب لي قلقاً بعد الطعام اللذيذ الطيب الذي كنت اتناوله في لندن ، والذي حرمني هذه القضية من الاستمتاع به حتى الآن ..

وأخيراً احسست برغبة في النوم فأغمضت عيني ..

فلما افقت في صباح اليوم التالي ، تعباً مكدوداً ، وتطلعت حولي الى الوادي ، شاهدت اربعة رجال يدورون او يتقدمون نحو الهضبة التي كنت عليها ..

وكانوا لا يبعدون عني ربع ميل على اكثر تقدير ، فاسرعت ارتدي حذائي ، مفكراً ان صاحبي (جوبال) لم يضع وقته سدى ..

فقد انذر البوليس بامري عند وصوله الى اول قرية ، صادفها في طريقه ..

اخذت اعدو من مكاني الى مكان آخر على الهضبة ، ولكن المطاردين شاهدوني كما يبدو ، فأخذوا يركضون خلفي وهم يصيحون ..

رحت اهرب من وجوههم وانا لا ادري اين اذهب ..

فقد كنت اجهل الارض ، وكان كل ما اشاهده حولي ، عبارة عن تلال وارض موحشة ، فاين اذهب ؟ واي طريق اسلك ؟.

وقد استشعرت بعد دقائق مـــن الركض والدوران ، ان البوليس قد استنجد ببعض سكان المنطقة ..

فقد كان بين المطاردين جماعة من الفلاحين والرعاة ، وهم ممن يعرفون الارض اكثر مني ..

اسرعت اعدو في جهة من الجهات ، لا الوي على شيء ، حتى شاهدت امامي منزلاً تحيط به بعض الأشجار ، فادهشني وجوده في هذا المكان الموحش ..

ولكني تقدمت نحوه ، لعلي اجد مكاناً اختبىء فيه ، بين اشجاره ..

فلما وصلت الى حديقة المنزل ، واقتربت من النافذة شاهدت رجلًا كبير السن ينظر الي ..

وفتحت باب الغرفة التي كان يجلس فيهـــا ، فوجدتها غاصة

بالكتب والآثار المتفرقة هنا وهناك ..

لم يتحرك الرجل عند دخولي ، وكان يبدو في الستين من العمر ، يضع النظارات حول عينيه ، اصلع الرأس ، ولم يكن عندي من الوقت ما اقص عليه قصتي ..

فترددت ولذت بالصمت ، واخذت احسب الف حساب لعينيه النافذتين القويتين ..

وقال الرجل العجوز اخيراً :

– يبدو انك في عجلة من امرك ايها الصديق ؟

فنظرت عبر النافذة ، فشاهدت رجالاً لا يبعدون عن البيت اكثر من نصف ميل ..

ولحظ العجوز نظراتي ، فتناول منظاراً ، وبعد ان القى نظرة ، على الذين يطاردونني ، التفت اليّ يقول :

– هل انت هارب من القانون ؟

فحنيت رأسي بالايجاب ..

فمضى يقول :

– سوف نبحث هذا الأمر في فرصة اخرى ، ولما كنت اكره ان يتعرض لشؤوني رجال البوليس ، خصوصاً بوليس

القرى .. فاذهب لهذه الغرفـة ، واغلق الباب حلفك . . فانك ستكون في امان فيها ..

وتناول العجوز قلم الحبر ومضى في الكتابة كأن شيئاً لم يكن ..

•••

وجدت نفسي في غرفة ضيقة ، انقفل بابها من تلقاء نفسه خلفي، وبصوت يشبه صوت باب الصندوق الحديدي، فاستشعرت ببعض الراحة الموقتة..

ولكني بالتأكيد لم اكن واثقاً من الرجل العجوز ، ولا من هدوء اعصابه وحركاته ..

لست ادري كم لبثت في هذا الصندوق ، فانه لم يكن غرفة كالغرف العادية ..

واخيراً انفتح الباب ، وغادرت مكاني الى غرفة المكتبة ، وسألت العجوز :

— هل ذهبوا ؟

— نعم .. لقد ذهبوا .. ولقد اقنعتهم انك مضيت عبر التلال والهضبات ..

ولست اكتمك اني اكره ان يتدخل البوليس بيني وبين رجل يهمني امره ، واريد اكرامه .. وانك لمحظوظ اليوم يا مستر هاني ..

وتحركت اجفانه .. وهو يتكلم ..

وتذكرت نصيحة (سكودر) حين اخبرني ان احد اعدائه بل اخطر اعدائه ، يغمض عينيه وهو يتكلم كما تفعل الطيور ..

وعندئذ ادركت الخطر الذي اتعرض له . . وفكرت في قتل الرجل بيدي ، والنجاة بجلدي ..

ولا بد انه فطن لغرضي ، فاشار بيده الى ما خلفي ، فاستدرت فاذا بي اشاهد رجلين من خدمه يحملان المسدسات ويقفان خلفي مباشرة ..

انه يعرف اسمي .. ولكنه لم ير وجهي قبلًا .. وفكرت في الافادة من جهله هذا ..

وقلت بنزق :

ـ لا ادري غرضك من هذا التهديد .. ولقد سمعتك تدعوني هاني .. اني ادعى (اينسلي) ..

– لن نختلف حول الاسماء ، فلا بد ان يكون لك غـــيره ايضاً ..

وتظاهرت بالغضب ..

وتذكرت ملابسي المهدلة ، وعـــدم وجود معطف ، وعقدة رقبة حول عنقي ، مما يقطع ، باني من عامة الناس ، لا من خاصتهم ..

وقلت :

– اذاً فانت سوف تسلمني الى البوليس .. وقـد اردت من اخفائي العبث بي اولاً .. بودي لو اني لم اشاهد السيارة ، هـذا هو المال الذي اخذته – والقيت باربعة جنيهات على مكتبه – اذا كان هذا ما تريده ..

فتح عينيه قليلاً ثم قال :

– لا .. لن اسلمك ابداً .. فهناك قضية علينـا ان نسويها فيما بيننا قبلاً ..

انت تعرف اكثر مما يجب ان تعرفه .. يا مستر هـــاني .. وانت كذلك بارع في التمثيل ، ولكنك لست بارعاً جداً ..

استشعرت بشيء مـن الشك يســاوره فصحت في وجهه :

ــ توقف عن هذا الكلام الفارغ ... فكل شيء يعمل ضدي ..

والواقع ان حظي خانني منذ غادرت السفينة في (ليت).. ما الضرر في ان يأخذ انسان جائع اربعة جنيهات وجدها في سيارة معطلة ملقاة على قارعة الطريق .؟

هذا كل مافعلته ، ولهذا اخذ البوليس يطاردني منذ يومين ..

افعل ما تشاء .. فقد انتهى (اينسلي) ..

وأحسست ان الشك قد ازداد عند العجوز ..

سألني :

ــ حدثني بقصتك !

فاجبته : هذا مستحيل .. فاني لم اذق الطعام منذ يومين ، اعطني ما آكله ثم احدثك بما تريد ..

ويبدو انه اقتنع بجوعي ، فاشار الى الخادم فقدم لى طعاماً ، اخذت ازدرده بشهية ..

فسألني في اثناء الطعام سؤالاً باللغة الالمانية ، ليأخذني على حين غرة ..

ولكني كنت حذراً ..

فرفعت رأسي اليه دهشاً ، ثم حدثتـه بقصتي . . وكيف اني غادرت سفينتي في (ليت) منذ اسبوع في طريقي الى اخي في (ويغنون) ..

ولم اكن املك مالاً ، فشاهدت سيارة ملقـاة في ساقية صغيرة ..

فتقدمت اليها افحصها ، فعثرت على الجنيهات الاربعة ، ملقاة في ارضها ، فاخذتها ، ثم لم البث ان شاهدت البوليس يطـاردني وانا اهرب من وجهه من مكان الى آخر ..

ـ انت تحسن الكذب يا هاني ..

وصحت في وجهه :

ـ توقف عن تسميتي بهذا الاسم ، فاني لم اسمع به في حياتي ..

اني ادعى (نيد اينسلي) .. والافضل ان تستدعي البوليس ليأخذني الى السجن ، بدلاً من ازعاجي بكل هذا الكلام الفارغ ..

واني لاشكرك على طعامك، وافضل الذهاب ما دام البوليس

قد غادر المكان ..

ولحظت ان الشك بدأ يساوره ، فهو لم يكن قد شاهد وجهي ..

وكانت هيأتي تختلف بالتأكيد عما كان يتوقعه لو شاهد المستر هاني امامه ..

ولهذا راح يقول :

– لن اسمح لك بالذهاب في الوقت الحاضر على الاقل ، إلا بعد ان اتثبت من شخصيتك ..

واما اذا كنت الرجل الذي اظنه ، فانك لن ترى النور ابداً ..

وضغط على الزر فأقبل خادم ثالث ، فأمره بتحضير السيارة ، واخبره ان يجهز طعاماً لثلاثة اشخاص، ثم التفت الى احد الخادمين وقال له بالالمانية ..

– كارل .. ضع هذا الرجل في المخزن ريثما اعود ، وستكون مسؤولاً عنه..

ذهبت الى المخزن ، يحيط بي رجلان من رجال الرجل العجوز

يحمل كل واحد منها مسدساً بيده ..

...

كانت الغرفة مظلمة .. لا نور فيها ولا مقاعد ..

كانت مليئة بالصناديق المقفلة التي لم استطع تحريكها ..

اخذت اتلمس الحائط بيدي ، فعثرت على نافذة فهززتها .. واردت فتحها فلم اوفق ..

فقد كانت مسمرة كما يبدو ، ثم مضيت اتلمس بقية الاغراض الاخرى واتحسسها .. حتى عثرت على خزانة مقفلة ، فتحتها بعد عناء ..

واخذت اتحسس ما فيها باصابعي ، فعثرت على لمبة كهربائية صالحة ، فاضأت نورها ..

شاهدت الغرفة كما توقعتها ان تكون مظلمة كبيرة ، مليئة بالصناديق والامتعة العتيقة ..

مضيت افحص ما في الخزانة ، فعثرت فيها على بعض الرزم الصغيرة ..

فتحت احداها ، فشاهدت فيهـــا قطعا من القرميـد الرمادي ..

شددت عليه باصابعي فاصبح رماداً ، فشممته ولحست كمية صغيرة منه ثم جلست افكر . .

لقد كنت اعمل مهندساً للمعادن في جنوب افريقيـا ، ومن المفروض ان اعرف شيئاً عن المعادن ، التي اعثر عليهـــا او اشاهدها ، ولم يكن مـــا بيدي غير نوع من المواد المتفجرة ..

بقرميدة واحـــدة كنت استطيع نسف هذا المكان كله ..

لقد استعملت هذا النوع في جنوب افريقيا .. ولكني كنت اجهل طريقة تحضيره وتركيبه .. فقد كان هذا شأن بعض العمال لا شأني ..

ولم اكن قد حاولت شيئاً من هذا بيدي . .

وفكرت اني لو استعملت هـــذه المادة ، فقد اموت انا ايضاً ، واذا لم استعملها فسوف اموت .. ولكن بطريقة ثانية ..

وقررت ان اعمل مهما كانت النتائج ..

اخذت ربع قرميدة ، دفنتها تحت احد الصناديق بالقرب من الباب ..

ثم رششت شيئاً من ذرات هذه المـــادة على الارض الى النافذة ..

واخيراً اخرجت من جيبي علبـــة كبريت ، واشعلت النار ..

واسرعت اختفي خلف الصناديق ، وبعد لحظـــات دوى انفجار شديد هدم الباب ، ومزق عوارض النافذة ..

واحسست كأن بعض الصناديق ترتفع في جو الغرفـة ثم تسقط على رأسي ، ثم غبت عن صوابي ..

ولا بد ان غيبوتي لم تدم طويلاً .. ثواني معدودات لا اكثر ، ثم فتحت عيني لأشاهد نور الشمس يطل علي من الباب الذي تهدم كله ..

واخذ الدخان يعم المخزن . . ، فاسرعت هارباً الى الحديقة لا الوي على شيء ، حيث اختبأت في منزل صغير قريب يستعمل للحمام . . اختفيت في سطحه . . خلـــف بعض الاحجار

والقرميد ..

ولكن بعد عناء وتعب عظيمين لاني كنت اشعر بالالم يعم جسمي كله من اثر الانفجار ..

ولا بد اني لما بلغت هذا المكان ، تولاني اغماء آخر فغبت عن وعيي ، لاني لما فتحت عيني بعد ذلك سمعت صوت سيارة .. ورجال ..

نظرت الى الحديقة من خلف الحجارة ، فشاهدت اعدائي الثلاثة يفتشون ويبحثون عن آثاري ..

وكنت قد فطنت الى ذلك فلم اترك اثراً بالقرب من كشك الحمام ..

كما شاهدت احد الخدم قد ربط ذراعه مما يدل على انه أصيب بجروح من جراء الانفجار ..

وبعد قليل عاد اعدائي الى المنزل بعد ان ادركوا انيتمكنت من الفرار والهرب ..

صرفت كل بعد الظهر في مكاني .. ويظهر ان خصومي بعد

ان تناولوا طعامهم قرروا مطاردتي ..

فقد خرجت السيارة بعد ذلك تحمل رجلين منهم .. فيما ذهب ثالثهم على جواد يفتش الارض الموحشة القاحلة ..

رحت اراقب ما حولي .. فلحظت شيئاً اذهلني وادهشني ..

شاهدت بعيداً عن المنزل شيئاً يشبه الحرج ، في وسطه ارض واسعة ممهدة .. لا يستطيع احد من المارة ان يفطن لها ..

فادركت ان هذه الارض الممهدة لا بد ان تكون المطار الذي تهبط فيه الطائرة ..

وقد تأكد ظني هذا لما اقبل الليل وشاهدت الطائرة تهبط في هذا المطار الصغير البعيد عن الانظار ..

ولما اقبل الليل غادرت مكاني تعباً منهوكاً الى النبع القريب الذي شاهدته من مخبإي ..

وكنت ازحف على الارض واسير حافياً حتى لا يسمع احد من الحراس وقع اقدامي ..

وقد كان حذري في مكانه ، لاني بعد قليل عثرت على شريط يمتد حول المطار ..

ولو اني تعثرت به لانذر سكان المنزل بمكاني ، فابتعدت عنه ، حتى وصلت الى الماء فغسلت وجهي وشربت ..

ثم مضيت نحو الارض القاحلة ، ولم اتوقف إلا بعد ان اصبحت بعيداً عن المنزل المرعب ، بعشرة اميال او اكثر ..

- ٦ -

الرسول السري

جلست على التلة ادرس موقفي ..

لقد كنت تعباً مرهقاً، احس بوجع شديد في رأسي، وبانهيار في اعصابي ..

وكان دخان الانفجار قد سمم جسمي ورئتي ، فلم يبق امامي الا ان اذهب الى بيت عامل الأرض لاسترجع ملابسي ومعطفي منه ، ثم اذهب في سبيلي الى منزل السير والتر بوليفان ، لاحدثه بقصتي ..

فان صدقني فيها، وان لم يفعل فليسلمني الى البوليس ، ولقيض الله بعد ذلك امره ..

توجهت نحـو منزل العامل بعناء وصعوبة، فطرقت بابه وفتح لي هو نفسه الباب ..

فوجدته قد ارتدى ملابسه ، وحلق ذقنه ، وسألني لمـــا شاهدني :

ـ من أنت لتقرع منزلي في صباح يوم الأحد ؟

وكنت قد نسيت لتعبي في اي يوم انا ..

ادركت انه في سبيله الى الكنيسة ، ولذت بالصمت ، والالم يعصر رأسي ..

وفجأة عرفني ، فسألني :

ـ هل اتيت معك بنظاراتي ؟

اخرجتها من جيبي وسلمتها له ..

فمضى يقول :

ـ لا بد انك جئت لاسترجاع معطفك .. تعال .. ادخل .. انك تعب كما يبدو .. دعني اساعدك ، لتجلس عـــلى هذا المقعد ..

واخذ العرق يتصبب من وجهي .. وادركت اني أصبت بالحمى ، وان حرارتي قد ارتفعت ..

فطن العامل (توربنول) لامري ، فراح يعتني بي ، وينزع عني ملابسي ..

نقلني الى غرفة فيها سرير واحد مددني عليه ..

وكان الرجل بعد زواج ابنته وحيداً فريداً ..

فراح يعتني بي ويقوم على تطبيبي مدى الايام التي قضيتها عنده ..

وفي اليوم الخامس ذهبت الحرارة عني ، ولكني كنت من الضعف بحيث لم اكن استطيع حراكاً ..

وكان في صباح كل يوم يترك بعض الحليب امامي ، ويغلق الباب خلفه ويذهب لعمله ، ليعود في المساء ، فيقوم بخدمتي كأحسن ما يكون ..

لم يسألني سؤالاً واحداً ، بل كان في بعض الاحيان يترك لي جريدة أقرأها . .

وقد وجدت من مطالعة هذه الصحف ان جناية بورتلاند ، لم تعد تثير الاهتمام في كثير ولا قليل ..

وفي ذات يوم سألته عما اذا كان احدهم قد سأل عني ، او سأله عني .. قال :

ـ لقد زارني شخص يركب سيارة ، وسألني : من الشخص الذي تركته يقوم بالعمل مكانك ؟

فتظاهرت بالدهشة ، ولما شدد في السؤال ، قلت :

ـ لعله شقيقي ، فقد تعود عند زيارتي ، ان يقـــوم بمساعدتي ..

ولما عدت الى صحتي ، وذلك في اليوم الثاني عشر ، من شهر حزيران ، قررت مغادرة المنزل لزيارة السير والتر ..

فقد اقترب موعد الجناية ولم يعد هناك مفر من عمل شيء ولو كان في ذلك القضاء علي ..

ارتديت ملابسي ، وودعت صديقي ، وحاولت ان اعطيه خمسة جنيهات، ولكنه رفض واصر على الرفض، مؤكداً .. انه انما قام بواجبه نحوي ..

وكان من حسن حظي أن ذهبت الى المدينة المجاورة وهي (موفات) .. مع صديق للعامل كان في طريقه اليها ليبيع بعض الابقار ..

فذهبت معه ووصلت الى المدينة سالماً ، ومن (موفات) ، ركبت القطار الى قرية السير هنري في جنوبي انكلترا .. في صباح اليوم التالي ..

واخيراً ، وفي مساء اليوم نفسه . . وصلت الى منزل السير هنري . .

فلما سألني الخادم عن امري اخبرته ، اني ادعى (تويزدون) وان السير هنري ينتظرني . .

وهز الخادم رأسه بالموافقة ، ولا بد ان الوزير اخبره بانه ينتظر شخصاً بهذا الاسم . .

فأخذني الى غرفة خاصة ، حيث قدم الي ، بعض الملابس الحسنة ، لاختار ما استذوقه منها ، وهو يقول :

ـ لقد اخبرني الوزير انك قد تكون بحاجة ، الى تبديل ملابسك . .

وهذه الملابس التي تراها تخص ابن عم الوزير وهي باعتقادي في مقاسك وتصلح لك . .

وابدلت ملابسي على الفور ، دون ان اقول شيئاً ، بعد ان غسلت وجهي وحلقت ذقني ومضى يقول :

ـ وسيكون الطعام جاهزاً ، بعد نصف ساعة ، وحين تسمع الجرس يرن ، تفضل الى غرفة المائدة رأساً . .

احسست بالراحة لاول مرة بعد المتاعب والمفاجآت التي تعرضت لها..

وسرني ان الوزير يؤمن بقصتي ولولا هذا لما اتخذ كل هذه الاحتياطات لراحتي ..

وبعد نصف ساعة انتهيت من الاغتسال وارتداء ملابسي الجديدة..

ولما دق الجرس ذهبت الى غرفة الطعام ، لاشاهد السير والتر بانتظاري ..

والواقع ان هذا التبدل المفاجيء في حياتي ، كان فوق ما كنت انتظره ..

ولهذا غمرني السرور لأول مرة بعد هربي من منزلي في لندن واطمأننت الى نجاح خطتي المقبلة ..

وقلت لمضيفي وانا اشد على يده :

– اني لعظيم الشكر يا سيدي لاستقبالك لي . . ولكن يجب ان تعرف ان البوليس يطلبني ، ولكني بريء من التهمة الموجهة الي ، ولست لأعجب ، بعد هذا اذا طردتني من بيتك ..

وابتسم الرجل الكبير وقال: :

ـ لا تدع هذا التفكير يعكر صفو طعامك ، فبوسعنا ان نتحدث عن هذه الامور بعد الانتهاء من طعامنا ..

وتناولت الطعام على مهـــل ، وفي شيء كثير ، من الشهية ..

وفكرت كيف كنت في الاسابيـع الثلاثة طريداً خائفاً ، واذا بي اليوم وفي نهاية المطاف اتناول طعامي في منزل احد كبار موظفي الحكومة الانـكليزية ..

فلما انتهينا من الطعام اخذني الى غرفته الخاصة ، حيث تناولنا القهوة وقال لي :

ـ لقد فعلت ما طلبه نسيبي (هاري) مني .. وقد اخبرني اني سوف اسمع شيئاً مثيراً منك ..

وبدأت أقص عليه قصتي .. حتى جاءني (سكودر) يطلب مني اخفاءه في منزلي ..

قلت اليه ما سمعته منه ، فابتسم وهو يسمع حديث (سكودر) ..

وتجهم وجهه لما حدثته بالجريمة ، ثم كيف هربت وما حدث

لي في اثناء هربي من المغامرات والحوادث المثيرة .. وكيف تمكنت أخيراً من الوصول الى اكتشاف شيفرة كتاب سكودر الاسود ..

ولما سألني عن هذا الدفتر قدمته له .. ولكني كتمت عنه محتوياته حتى نهاية الحديث ..

فلما انتهيت من قصتي سألني ان اصف له الاشخاص الثلاثة الذين كانوا يطاردونني ففعلت ، حتى وصلت اخيراً الى منزل العجوز الالماني وكيف اني اضطررت لنسف المخزن لاتمكن من الهرب ..

وبعد ان وصفت له مرضي واختفائي عند عامل الطرق ، ولما شفيت من مرضي أتيت ازوره ، بعد ان لم يبق على موعد الجناية الا الساعات القليلة ..

وقال لي لما انتهيت من حديثي :

ـ لا تخش شراً من البوليس بعد الان ..

قلت دهشاً : وهل قبضوا على القاتل الحقيقي ؟

ـ لا .. ولكنهم رفعوا اسمك من بين الاسماء المطلوبة لهذه الجريمة منذ اسبوعين ..

ـ ولكن لماذا ؟

ـ لاني تلقيت رسالة من (سكودر) قبل وفاته . . ولتعلم ان (سكودر) كان يعمل لنا ، ولكنه كان رجلاً غريباً .. مجنون في بعض الحالات ..

ولكنه شريف صادق .. والمصيبة به انـه كان يفضل العمل وحده ..

وهو ما جعله يخاطر بنفسه ، بحيث كانت فـــائدته لقلم الاستخبارات الانـكليزية ضئيلة جداً ..

ولقد علمت من تحريره هـذا الي ، انه معرض لخطر عظيم ، وانه عثر على صديق يختبىء عنده ريثما يزول هذا الخطر ..

وبعد مقتله وهربك ، ادركت انك الشخص الذي كان يختبىء (سكودر) في منزله ..

فقمنا ببعـض التحقيقات عنك ، فعرفنـا انك من اهل النبل والكرامة ، وانك لست من المجرمين ..

وان السبب في هربك كونك ساعـــدت (سكودر) على الاختفاء عندك ، وانك لم تكن خائفاً من البوليس بقدر ما كنت

تخاف اعداء (سكودر) الآخرين ..

...

أحسست بعد حديثه هذا ، بان حملًا ثقيلًا قد انزاح عن صدري ..

فازددت قوة وايماناً بنفسي ، ولما سألني مضيفي عن خلاصة ما في دفتر (سكودر) .. بسطت له الطريقة التي توصلت فيها لحل الشيفرة ..

ثم بسطت له المعلومات التي وجدتها فيه ، فهز رأسه وقال :

– لست ادري ما اقوله بصدد هذه المعلومات ..

ولكنه صادق في امر واحد ، سوف يقع بعد يومين ، ولكن كيف عرف بهذا الخبر .؟

انه خبر خطير جداً ، واما الاخبار الاخرى المتعلقة بحرب في البلقان ، وبمقتل (كاروليدز) فانها اخبار اكثر منها حقائق ..

وسكودر نفسه كان واسع الخيال .. خصوصاً وان احداً في

اوروبا لا يريد موت (كاروليدز) هذا ..

ولهذا فاني لا اصدق اخباره عن البلقان واخطاره ..

والواقع ان هناك عصابة المانية تقوم بالتجسس علينا .. هذا صحيح ..

والالمان يدفعون لجواسيسهم المبالغ الطائلة لهذا الغرض ، ومن المفروض ان يهمهم معرفة مركز اسطولنا وتقسيم قطعه ..

ولكني لا اؤمن بانهم يريدون هذه المعلومات لغرض خاص كما ينصور (سكودر) .. وانما لكي تكون معلوماتهم عن قواتنا تامة كاملة ..

وفي هذه اللحظة اقبل الخادم يدعو مضيفي الى مكالمة تليفونية خاصة مع لندن ..

وبعد دقائق عاد السير والتر متجهم الوجه ليقول :

ـ اني اعتذر لسكودر ، فقد قتل (كاروليدز) بالرصاص في الساعة السابعة من هذا المساء ..

...

لما اجتمعت الى مضيفي في صباح اليوم التالي على مائدة

الافطار ..

اخبرني انه صرف ساعة بعد ان ذهبت الى غرفتي لآخذ بعض الراحة ، يتصل بلندن ، حيث تقرر استدعاء الجنرال الفرنسي قبل يوم من الموعد المحدد لحضوره والاجتماع اليه في اجتماع كبير خاص ..

وسيكون في لندن اليوم الساعة الخامسة ..

ومضى يقول :

ـ والواقع اني لا ازال في حيرة من الطريقة التي استطاع بها اعداؤنا معرفة سر زيارة الجنرال الفرنسي لنا ، لان هذا السر ، لم يكن يعرف به غير خمسة في لندن ، واقل من ذلك في باريس ..

سألته وانا اتناول طعامي :

ـ أليس بالاستطاعة تبديل مراكز الاسطول ؟

ـ هذا ممكن ..

ولكننا نريد تجنب ذلك . . . لان هذا يتطلب وقتاً ..

كما انه من المستحيل احداث بعض التعديلات في الوقت الحاضر ..

ولكن اذا كان لا بد من ذلك فبالامكان طبعاً عمل شيء ..

المهم ان يسرق اعداؤنا الاوراق من الجنرال الفرنسي ، لانهم ان فعلوا كشفوا سرهم ، وانذرونا بحركتهم واغراضهم ، فنبدل خططنا حالاً ..

غرضهم سيكون سرقة نسخة من هذه الاوراق دون ان نفطن نحن الى ذلك .. فاذا لم ينجحوا فشلوا ولم يحصلوا على شيء ..

قلت : اذا كان الامر كما تقول فالمهم اذاً هو حماية الجنرال الفرنسي من ان يسرق في لندن ، وحمايته ايضاً وهو في طريقه الى باريس ، وفي باريس ايضاً ..

ولكن خصومنا كما يبدو يظنون ان بامكانهم الوصول الى غرضهم من سرقة هذه الاوراق دون ان يفطن احد من المسؤلين الى ذلك ، فما هي هذه الخطة ؟

– ان الجنرال الفرنسي سيتناول طعام الغداء مع الوزير ، ثم يأتي الى منزلي هنا .. حيث يجتمع الى اربعة اشخاص ..

(ويتكور) من الاميرالية .. والسر ارثر دور ، والجنرال وينستنلي وانا ..

ولما كان وزير البحرية مريضاً ، فمن المنتظر ان لا يستطيع حضور هذا الاجتماع ..

وفي منزلي سيحصل الجنرال الفرنسي (رويور) على ورقة هامة من (ويتكور) .. ومن منزلي سوف يذهب بالسيارة الى (بورتسموث) .. حيث تنقله مدمرة الى مرفأ الهافر في فرنسا ..

ولما كانت الورقة التي يحملها خطيرة جداً ، فانه لن يترك وحده ..

وسيحرس حراسة تامة حتى يصل الى فرنسا .. وستكون الحراسة شديدة ايضاً على (ويتكور) حتى يجتمع الى (رويور) الفرنسي ..

هذا كل ما نستطيع عمله في الوقت الحاضر ..

ولا اكتمك اني لست مطمئناً رغم كل هذه الاحتياطات ..

فان مقتل (كاروليدز) سوف يثير القلاقل في

اوروبا ..

. . .

سألني بعد طعام الافطار ان احل محل السائق ، وان البس ملابسه ، ففعلت ..

وذهبنا بالسيارة معاً الى لندن ، والى منزله الخاص في العاصمة فوصلنا الى المنزل قبل الظهر بنصف ساعة..

وكان اول ما فعله ان ذهب بي الى (اسكوتلانديارد) حيث قدمني الى مدير الدائرة وهو يقول :

– لقد اتيتك بمجرم شارع بورتلاند ..

فابتسم مدير البوليس العام وقال :

– انها لهدية طريفة .. واظن انه المستر هاني الذي اثار اهتمامنا عدة ايام ..

– ولسوف يثير اهتمام دائرتك ايضاً وفي وقت قريب ..

ولكن لاسباب خطيرة جداً .. يجب عليه الاحتفاظ بقصته اربعاً وعشرين ساعة ايضاً ..

كل ما اريده الان منك ان تخبره بانه ليس مطلوباً من البوليس ..

ـ وقال مدير البوليس :

ـ بالتأكيد يا مستر هاني ... لك ان تذهب الى منزلك ، حيث ينتظرك خادمك ... ولك ايضاً ان تذهب ، الى حيث تشاء ..

وقال السر والتر وهو يودع المدير العام :

ـ سوف نحتاج الى مساعدتك قريباً .. والى الملتقى ..

ولما اصبحنا في الشارع قال لي وهو يودعني :

ـ تعال لمقابلتي غداً .. ولست بحاجة لانصحك بان تكون حذراً حتى لا يراك احد خصومنا ، والافضل ان تذهب الان الى منزلك وتنام .. فانت بحاجة قصوى الى الراحة ..

...

لم اذهب الى منزلي .. لأني خفت ان يكون تحت المراقبة من رجال العصابة ..

توجهت الى احد الفنادق حيث تناولت طعاماً شهياً ،واخذت بعض الراحة ..

ثم استأجرت سيارة اخذت تدور بي حول لندن ، وبين لاشجار الجميلة والزهور الباسقة ..

فلما كانت الساعة السادسة عدت الى لندن ، حيث ذهبت الى بار لتناول بعض المرطبات ..

وكنت في هذه الفترة من الوقت افكر كثيراً ..

وقد خيل لي ان هذه القضية لن يحلها سواي ..

وان عصابة (الحجر الاسود) هذه لن يستطيع سحقها والقضاء عليها الا تدخلي انا في هذه القضية ..

وتولاني قلق غريب لم اعرف له سبباً ، ولا استطعت الى دفعه سبيلًا ..

فلما شارفت الساعة التاسعة والنصف قررت الذهاب الى منزل السير والتر نفسه ..

لقد كانوا سيجتمعون عنده كما علمت منه ..

فلماذا لا اكون قريباً من هذا الاجتماع ؟.

واذا كان المسؤولون يريدون تسوية هذه القضية على طريقتهم الخاصة ، فان طريقتي باعتقادي كانت احكم واحزم ..

وذهبت الى منزل وكيل الوزارة السر والتر ، وفتح لي الخادم الباب ، وعرفني طبعاً ، ولكنه اخبرني ان السر والتر مشغول جــداً . . وان لديه اجتماعاً هاماً ، وان علي ان انتظر . .

وقررت ان انتظر لعل المعجزة تقع . .

ورن جرس الباب . .

وفتح الخادم الباب للزائر . .

وعرفت القادم حالاً .. من طول ما شاهدت صورته في الصحف . .

لقد كان وزير البحرية ، والرجل الذي يقال انه هو الذي صنع الاسطول الانكليزي الحاضر ، وجعله في مثل قوتــه واستعداده . .

ومر الوزير مــن امامي دون ان ينظر الي او يراني كما اعتقد . .

وجلست في مكاني مــدة عشرين دقيقة اخرى .. لا ادري ما افعل . .

وكان القلق لم يزل مستحوذاً علي . .

وبعد قليل رن الجرس ، وظهر الخادم ، وفتح باب الغرفة ، التي كان الخمسة يبحثون فيها وخرج وزير البحرية منها ، وفي هذه المرة مر بالقرب مني ، ونظر الي ، ونظرت اليه ..

احسست بقلبي ينتفض من مكانه ..

ذلك اني في الواقع ، لم اكن قد رأيت وزير البحرية قبلاً . . كنت قد شاهدت فقط صورته في الصحف كما قدمت ..

وفي هذه اللحظة عرفت الرجل .. حركة في عينيه، دلتني على شخصيته ..

لم اكن مخطئاً بالتأكيد ..

ثم مر من امامي .. وغادر البيت .. وسمعت الباب الخارجي يقفل خلفه ..

تناولت التليفون الذي كان بالقرب مني ..

طلبت منزل وزير البحرية .. واجابني احد الخدم .. سألته :

ـ هل صاحب السعادة في منزله ؟

فأجابني الخادم :

ـ لقد عاد سعادة الوزير ، الى منزله منذ نصف ساعة ،

وذهب الى غرفته ، لانه تعب هذه الليلة ، هـــل تريد ان تترك رسالة له ؟

اعدت سماعة التليفون الى مكانها ، دون ان انطق ، بكلمة اخرى ..

استشعرت في هذه اللحظة زهواً لم اعرفه في نفسها ، لقـــد وصلت في الوقت المناسب . . قبل ان ينتهي عملي ، في هذه القضية المثيرة ..

كان علي آن اعمل بسرعة ..

ولهذا تقدمت نحو باب غرفة الاجتماع . . وفتحته دون مـا استئذان ..

نظر الحاضرون الي وكانوا خمسة ،وقد تولاهم الكثيرمن الذهول والتساؤل ..

كان هناك السير والتر صديقي ، ووزير الحربيةوقدعرفته من صورته ، و (درو) .. وشخص رقيـــق الجسم ، لا بد انه (ويكتور) . . الموظف الكبير في الاميرالية ، والجنرال وينستلني .. وأخيراً رجل قصير القامة ، توقف عن الكلام عند دخولي ..

بدا الضيق على وجه السير والتر عند رؤيتي ، ولكنه تمالك نفسه وقال :

– هذا هو المستر هاني ، الذي كنت احدثكم عنه ..

ثم التفت الي وقال :

– ليس هذا وقت الزيارة يا مستر هاني ..

وتمالكت اعصابي وقلت :

– سوف نرى..من كان هذا الرجل الذي غادرغرفةالاجتماع الان ؟

وقال السير والتر بغضب :

– انه اللورد الو وزير البحرية ..

وقلت بصوت عال :

– انه ليس وزير البحرية ، انه شخص قد تنكر ليظهر وكأنه اياه . .

انه رجل عرفني وعرفته .. ورأيته في الشهر الماضي .. وقد تلفنت عند مغادرته هذا الاجتماع الى منزل الوزير ، فعلمت من خادمه ، انه عاد الى منزله منذ نصف ساعة ، وانه ذهب الىغرفته لينام بسبب تعبه ..

وقال احدهم : اذن فمن الرجل الذي كان معنا .؟

وقلت وانا اجلس على المقعد الذي كان يحتله الرجل الذي غادر الاجتماع :

ـ انه الحجر الاسود ..

ونظرت الى الخمسة المجتمعين وقد اصفرت وجوههم من الخوف والذعر ..

- ٧ -

النهاية المثيرة

لاذ الجميع بالصمت بعد سماع جوابي .. ثم قال مندوب الاميرالية :

ـ هذا كلام فارغ ..

وكان السير والتر في هذه الاثناء ، قد غادر الغرفة ليتأكد من الخبر الذي نقلته لهم ، من ان وزير البحرية لم يحضر اجتماعهم، وانه كان في منزله ساعة الاجتماع ..

وبعد عشر دقائق ، عاد يقول :

ـ لقد اتصلت بالوزير ، وهو في فراشه ، فاخبرني انه كان في حفلة خاصة ، وعاد الى منزله رأساً ..

وصاح الجنرال وينستلي .

ـ هذا جنون . . اتريد ان تقول ان الرجل الذي جلس الى

جانبي لمدة نصف ساعة ، ليس الوزير ، وانما هو شخص آخر ، واني في خلال هذه المدة لم افطن لشخصيته ..

واجبته : ألا ترى الى براعة خصومنا في ذلك . . فقد كنت مشغولاً بامـــور اخرى ، فلم تفطن الى انه ليس من تعتقد وتظن ..

ولو انه كان غريباً عنك ، لحددت النظر اليـــه ، ولكنك كنت تتوقع مجيئه ، ولهذا لم تعره اهتماماً ، ولم تفطن لتنكره ..

وأيد الجنرال الفرنسي قولي هذا، وقال :

ـ هذه امور تحدث دائماً .. وقد أصاب هاني في تصوير السبب ..

وعاد الجنرال وينستلي يقول:

ـ ولكن خطتهم كانت تقوم على ان يحصلوا على هـــذه المعلومات دون ان نفطن نحن لذلك ..

وقد كان بامكان احد منا ان يسأل الوزير في اليوم التالي عن اجتماع امس ليعرف الحقيقة ..

وقال السير والتر وهو يضحك :

ـ ولكنك تعرف ان (الو) من الاشخاص الذين لايتكلمون كثيراً ، كما انه ضيق الصدر ابداً بحيث يتعذر على المرء مناقشته ..

وعاد الجنرال يقول :

ـ ولكن الذي يحيرني .. ما الذي افاده الغريب الذي حضر مجلسنا من هذه الجلسة؟..

فانه ليس باستطاعته ان يحفظ في رأسه جميـــع الارقام التي ذكرت ، والتي تبلغ عدداً من الصفحات فيما لو طبعت ..

وقال الجنرال الفرنسي :

ـ هذا ليس صعباً كما تتوهم .. فالمفروض في الجواسيس الموهوبين ان يكونوا من اصحاب الذاكرة القوية ، وانت لم تفطن لما كان يفعله لانشغالك بالحديث والاستماع الى ما يقال ..

ولكني لحظت انه كان يعيد قراءة الصفحة اكثر من مرة واحدة ..

وهذا يعني انه كان يحاول حفظها وتذكر ارقامها حين يغادر

اجتماعنا ..

ولا بد انه بعد مغادرة هذا الاجتماع ، قد اسرع يكتب كل ما سمعه وقرأه ويسجله في سجل خاص ..

وحين كنت انا صغيراً كنت قوي الذاكرة ، بحيث كنت احفظ خلاصة موضوع في عدة صفحات ..

وتكلم ويتكور مندوب الاميرالية :

ـ هل تحدثت الى الوزير بما حدث .؟

ـ طبعاً لا . . والشيء الذي استطيع قوله الان ،هو اننا لن نستطيع تبديل خططنا التي اقررناها الا اذا بدلنا خريطة انكلترا نفسها ..

وقال الجنرال الفرنسي روبور :

ـ والواقع الذي يجب ان تعرفوه ، اني تكلمت بصراحة مع الوزير المزور ..

وبسطت له خطتنا العسكرية ، وهذه المعلومات تساوي الملايين عند اعدائنا ..

ولهذا لا اجد طريقة للخلاص من هذه الورطة الا بالقبض عليه

حالا .. هو واصحابه ..

قلت :

ــ ولكننا لا نعرف مكانهم ..

وقال (ويتكور) :

ــ من يدري فقد يكون خصومنا قد ارسلوا معلوماتهم بالبريد الى الخارج حالاً ..

وقال الفرنسي :

ــ ان الجاسوس البارع يفضل حمل معلوماته الى اصحاب العلاقة بنفسه ..

لانه سوف يتسلم مكافأة بيده.. ولهذا فلا تزال امامنا الفرصة للقبض عليهم ..

انهم سيسافرون بحراً ، وعلينا تفتيش البواخر ، ومراقبة المرافيء .. والامر خطير جداً لنا ولكم ..

ولقد بدا لي الجنرال الفرنسي عملياً اكثر من بقية الحاضرين، فاخذت افكر فيما قاله ، وفجأة خطرت لي فكرة ، فسألت السير والتر :

ــ اين دفتر (سكودر) ؟ لقد تذكرت شيئاً قرأته فيه ..

وحمل الي السير والتر الدفتر ، وكان قد وضعه في احد ادراج مكتبه ، فتناولته منه ، واخذت اقلب صفحاته ، وبعد دقائق صحت :

ـ لقد عثرت على المكان .. انه في مكان له ٣٩ درجة ، ولا بد ان يكون على البحر حيث يكون المد في اعلاه في الساعة العاشرة والدقيقة ١٧ ليلًا ..

ولما رأيت مندوب الاميرالية ينظر الي دهشاً قلت له :

ـ لقد كان (سكودر) بالتأكيد يعرف مقر القوم واين يختبئون .. ومن اي مكان سوف يغادرون البلاد .. وان كان قد احتفظ بالمكان لنفسه ، مدللًا عليه باشارات خاصة .. ولا بد انهم سيغادرون انكلترا غداً ..

ومن مكان يكون المد فيه على اشده الساعة العاشرة والدقيقة ١٧ ..

وقال احدهم :

ـ أليس من الممكن ان يكونوا قد غادروا البلاد الليلة ..؟

ـ لا .. لانهم قد قرروا حركاتهم ونظموها تنظيما محكماً

ثم ان احداً لا يعرف بسرهم كما يعتقدون ، فلماذا يبدلون خططهم والحالة هذه ؟

والالمان عادة لا يتعجلون امورهم . . ولهذا فانا بحاجة الى كتاب لمعرفة حركات المد في انكلترا . . في مثل هذا الوقت . .

وقال (ويتكور) وقد بدا التفاؤل على وجهه :

ـ هذه فرصة . . لنذهب الى الاميرالية . .

. . .

ذهبنا جميعاً الى الاميرالية في سيارتين خاصتين ، الا السير والتر الذي قرر زيارة مدير سكوتلانديارد للحصول على تأييده ومعاونته . .

لم نوفق كثيراً في العثور على مكان ساحلي في انكلترا يؤكد وجود الجواسيس فيه . .

فقد كان هناك اكثر من خمسين ساحلاً يرتفع فيها المد في مثل هذه الساعة من الوقت . .

وعندئذ تذكرت الدرجات التسع والثلاثين ، وقلت في نفسي :

لا بد ان يكون المكان المطلوب واقعاً على البحر ، وينحدر اليه على درجات عددها ٣٩ درجة ..

وكان ان وصل السير والتر في هذه الاثناء وانضم الينا ، ومعه مدير سكوتلانديارد ، الذي اصدر اوامره بمراقبة المرافىء جميعها ..

فلما انضم الينا السير والتر قلت :

– ان الذي اعتقده ان المكان الذي نبحث عنه موجود على شاطىء البحر ، ولا بد انه يعلو عن سطح البحر ، ويقوم على ظهر هضبة عالية ..

والمرء لا يصل اليه .. الا بصعود ٣٩ درجة ، فاذا كان هناك خبير في السواحل المفتوحة ، فلا بد انه يستطيع ان يدلنا على مكان يكون فيه المد على اشده عند الساعة العاشرة والدقيقة ١٧ .

ويكون الوصول اليه بسلم مؤلف من ٣٩ درجة ..

واجاب (ويتكور) :

- يوجد خبير لهذا عندنا ..

وجيء بالخبير ، وسأله وزير الحربية عن السواحل المفتوحة ، والمنازل العالية القائمة فوقها ، والتي يصل المرء الى البحر منها بواسطة درجات عديدة ..

وفكر الرجل ملياً ثم ذكر لنا اسماء اماكن تنعم بهذه الاوصاف ، ولكن احداً منها لم يكن المكان المطلوب باعتقادنا ..

وقال الرجل :

- ثم ان هناك (الرف) .. وقد يكون المكان الذي تطلبون ..

سألته : صفه لنا ..

- انه هضبة عالية تطل على البحر بالقرب من (برادغات) ..

ارضها كلسية ، تضم بعض المنازل ، واكثر هذه المنازل لها درج يؤدي الى البحر ..

وسكان هذه المنازل من الطبقة العالية وهم ابداً يحبون الوحدة ولا يتصلون بالناس كثيراً ..

ونظرت الى الدفتر الذي يعين حركات المد والجزر ، فاذا به

وفي هذه المنطقة يبلغ اعلاه في الساعة العاشرة والدقيقة ٢٧ في ١٥ حزيران ..

فصحت فرحاً :

– لقد وقفنا على اثرهم اخيراً .. هل تعرف كم يكون موعد المد على (الرف) ؟

– نعم يا سيدي انه يقل عشر دقائق عن (برادغات) ..

وعندئذ تطلعت الى الموجودين وقلت لهم :

– اذا كان احد هذه المنازل على (الرف) يحوي ٣٩ درجة نكون قد كسبنا المعركة ووقفنا على مركز العصابة ..

والتفت الى السير والتر وقلت له :

– اريد يا سير والتر ان تتكرم علي بسيارتك ، وخريطة للطريق الذي يؤدي الى (الرف) ..

واذا سمح لي مدير سكوتلانديارد بدقائق قليلة من وقته ، فان باستطاعتنا تنظيم عملنا في اليوم التالي ..

وكان اول من تكلم الجنرال الفرنسي الذي قال :

– اذا كان الامر يتعلق بي فاني مستعد لان اضع ثقتي بالمستر هاني ..

وفي الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل كنت في طريقي الى الرف على سيارة السير والتر ، مع احد رجال سكوتلانديارد المجربين ..

...

وصلنا الى برادغات في صباح اليوم التالي ، حيث اخذت من نافذة الفندق اتطلع الى البحر ، والى المدمرة الانكليزية التي القت مرساها في عرض البحر بعيدة ميلين عن الشاطىء ..

وحين عرفت اسمها من رفيقي مفتش البوليس (سكايف) ارسلت برقية الى السير والتر ..

وبعد تناول الطعام ذهب (سكايف) لرؤية المنازل القائمة على (الرف) وهو اسم الهضبة العالية المنفردة المطلة على البحر ..

وقد قررت عدم الذهاب معه ، مخافة ان يراني أحد من الخصوم ـ اذا كانوا حقاً في هذا المكان ـ فيحذر او يهرب ..

اخذت مكاني خلف أحد الصخور ، اراقب ألرف ومنازله

من بعيد ..

فلما عاد (سكايف) الي بعد ساعة ونصف من الزمن، اخبرني ان لكل منزل سلم كما توقعت ..

وان درجات هذه السلالم ، تختلف باختلاف علو المنزل وانخفاضه ..

وقد حمل ارقامها معه ، وهي: ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٧، و ٢١ درجة ..

كدت اصرخ من الفرح لما اخبرني بهذه الارقام ، خصوصاً لما عثرت على ان الرقم (٣٩) موجود فيها ..

اذاً فسكودر كان على حق في دفتره ، ولا بد ان يكون خصومنا في المنزل الذي يحمل هذ العدد من الدرجات ..

عدنا الى القرية بسرعة . . الى قرية (برادغات) ، حيث ابرقت الى مدير سكوتلانديارد ، طالباً ارسال عدد من رجاله لمساعدتي ..

ثم ذهب (سكايف) لفحص المنزل ، الذي يحمل سلمه ، ٣٩ درجة ..

وعاد ليقول لي :

ـ ان المنزل يدعى (ترافلغار لودج) وان صاحبه رجل عجوز يدعى (ابلتون) . . من رجال الاعمال المتقاعدين . . وهو يقضي اكثر ايام الصيف هنا ، وهو الآن في منزله كما علمت . .

وقد اتصل سكايف بخادمات المنزل ، فلم يقع منهن على شيء ، ومن المؤكد انهن لا يعرفن شيئاً . .

اخذت من سكايف منظاره ، وذهبت قبل الغداء ، اتمشى بالقرب من (الرف) مبتعداً عن المنازل القليلة الموزعة هنا وهناك فوق الهضبة . .

اخذت اراقب المنزل بمنظاري . . وفيما انا في شأني هذا ، شاهدت رجلاً يغادر المنزل ويتقدم الى آخر الهضبة حيث اخذ يراقب المدمرة بمنظاره . .

وقد بدا لي من ملابسه انه كان يرتدي الملابس الانكليزية المعتادة في الصيف . .

ولما غادر مكانه وعاد الى المنزل ، عدت انا بدوري الى القرية غير واثق من نفسي فقد كان المنزل عادياً لا حركة فيه ولا من يحزنون . .

وليس بعيداً طبعاً ، ان يكون هذا الرجل ، صاحب بيت

الاهوال ، الذي سجنت في مخزنه ، وقد لا يكون ..

ومن هنا ! كان خوفي ان افشل ، واعود الى لندن ، كئيباً حزيناً ..

ولكن موقفي تبدل بعد الغداء ، وحين كنت انظر ، الى البحر من شرفة الفندق ، فقد رأيت في البحر يختاً صغيراً ، كان يدور في خلدي انه لا بد ان يكون ..

فلما لم اجده في الصباح خامرني الشك ، ولكني لما رأيته الآن عاد الي ايماني بنفسي ..

قررت الذهاب الى المرفأ وركوب زورق بخاري للنزهة في البحر ، ولصيد السمك تعمية للأنظار ..

وبعد ان اصطدنا بعض السمك، سألت الزورق البخاري ان يدور بنا حول اليخت ، لافحصه واعرف من يكون بحارته ..

ولما اقتربنا منه قال له سكايف :

ـ لا بد ان يكون هذا اليخت قوياً وسريعاً ..

وكان اسم اليخت (اريادن) منقوشاً على طرفه ، وقد تحدثت الى احد البحارة وهو يدهن اطراف اليخت ، فكلمني

بالانكليزية الصحيحة ..

وكذلك فعل رفيقه ، ثم لاذ بالصمت لما تقدم احد ضباط اليخت ، واطل علينا من مكانه ..

وقد تلطف وحدثنا بالانكليزية ..

ولكن ملابسه ولون شعره كانا يقطعان بانها ليست انكليزية ابداً ..

ولما عدنا الى المرفأ كان الذي يشغل بالي .. ترى هل يعرف خصومي بان (سكودر) كان يعرف مكانهم ومقرهم .. ومتى يغادرون البلاد ..

وكذلك الرجل ، الذي تنكر بزي وزير البحرية ، وحضر الاجتماع ، هل عرفني ؟

ولكني عدت فتذكرت ، اني بعد ان حلقت ذقني وبدلت ملابسي في منزل السير والتر الريفي ، تبدل شكلي ، تبدلاً تاماً ..

واذن فقد كان من المستحيل ان يعرفني هذا الرجل الذي شاهدني في حالة غير حالتي هذه .. خصوصاً وقد كان من الصعب ان يعتقد ان الرجل الذي يطارده البوليس يكون في منزل احد

كبار المسؤولين في الحكومة الانكليزية ..

اجتمعت في بهو الفندق ، الى قائد المدمرة ، وتحدثت اليه .. .

ثم ذهبت لمراقبة المنزل المشبوه ..

شاهدت من منظاري ، رجلين يلعبان التنس في الحديقة ، كان احدهما ، الرجل الكبير الذي رأيته يحدق بمنظاره ، الى السفينة الحربية ..

وكان الثاني شاباً ، في مقتبل العمر .. وكانا يلعبان بحماس واهتمام ... وهما يصرخان ويضحكان ، ويتوقفان بين الفينة والفينة ليتناولا كأساً . . . كانت تحمله اليهما احدى الخادمات ..

اخذت اضرب كفاً بكف .. وأسأل نفسي فيما اذا لم اكن من كبار المغفلين ..

وفيما اذا كنت في اتهامي لهذين الشخصين ، اللذين لا يبدو عليهما شيء من الخفاء والسرية ، لم اكن ارتكب ، غلطة كبيرة ..

وبعد قليل اقبل شخص ثالث . . فاستقبله صديقاه بالصياح والهتاف . .

وكانوا يتكلمون الانكليزية جميعاً ، وبعد قليل عادوا الى المنزل . .

وأخذت ابرر شكوكي بانهم يمثلون ، ولكن اذا كانوا يمثلون حقاً فلمن يقومون بهذه التمثيلية ، وليس هناك من يراقبهم . . ولا يمكن بحال من الاحوال ان يفطنوا الي وانا البعيد عنهم ، والمختبىء في مكان لا يمكن لأحدهم ان يراني فيه . .

ثم تذكرت ، براعة هؤلاء القوم بالتنكر ، وتمثيل ادوارهم . .

فعدت اطمئن نفسي ، باني لا بد ان اكون ، في الطريق المستقيم ، وان علي ان امضي في سبيلي ، وليكن بعد هذا ما يكون . .

واخيراً عدت الى الفندق ، وكانت الساعة قد شارفت على الثامنة مساء . .

فاصدرت اوامري الى سكايف ، واتفقف معه على تطويق المنزل برجاله ، حتى لا يهرب منه انسان . .

وكان رجال الشرطة الذين طلبتهم من لندن قد وصلوا ..

ولما تم كل شيء قررت زيارة المنزل المشبوه بنفسي، والتحدث الى سكانه وجهاً لوجه ..

توجهت الى المنزل وقرعت الجرس ..

ولما فتحت الخادمة لي الباب ، سألت عن المستر ابلتون .. وسرت خلف الخادمة الى الصالون ..

ولما سألتني الخادمة عن اسمي اعطيتها اسمي الحقيقي، دون ان افطن للأمر ..

وبعد ان احتواني المنزل ، وجدته مؤثثاً على الطريقة الانكليزية مائة بالمائة . . مما يقطع بان صاحبه من الانكليز ، مع ان الذين كنت خلفهم كانوا من الالمان طبعاً ..

ولكني ملكت اعصابي .. لما عادت الخادمة لتقودني الى غرفة الطعام ، حيث شاهدت الرجل العجوز يتصدر الطاولة ، فلما رآني وقف وتقدم للسلام علي ..

وقد ظل رفيقاه في مكانهما ، وكان احدهما ضخم الجثة والآخر دقيقاً رفيعاً ..

كان استقبال العجوز لي ودياً للغاية .. قال :

ـ هل تريد الاجتماع الي يا مستر هاني .. معذرة ايها الاصدقاء لبرهة قصيرة ..

ثم التفت الي يقول :

ـ لنذهب الى الصالة ..

لم اتحرك من مكاني ، واخذت كرسياً وجلست عليه ، ثم قلت :

ـ اظن اننا اجتمعنا قبلاً .. واعتقد انك تعرف غرضي من هذه الزيارة ..

لم يكن نور الغرفة قوياً ، ولكنهم جميعاً تظاهروا بالدهشة والعجب لسؤالي هذا ، وكانت دهشتهم صادقة مائة بالمائة ..

وقال العجوز :

ـ هذا ممكن .. ممكن طبعاً .. فاني ضعيف الذاكرة ، ولهذا فالافضل ان تحدثني بغرضك ، لاني بالتأكيد لا اعرف شيئاً عنه ..

قلت بهدوء :

ـ لقد جئت لاخبرك ان كل شيء قد انتهى .. واني احمل

معي امراً بالقبض عليكم انتم الثلاثة ..

واهتز العجوز من الدهشة وقال :

– تقبض علينا ..؟ ولأي سبب ؟

– لقتلكم (فرانكلين سكودر) في لندن في يوم ٢٣ من شهر مايس ..

وقال العجوز : اني لم اسمع بهذا الاسم قبلا ..

وقال احد رفيقيه :

– انه الرجل الذي قتل في شارع بورتلاند .. لقد قرأت خبره في الصحف ..

ولكن يجب ان تكون مجنوناً ايها الرجل .. تعال اخبرني باسم من تتكلم ..

– باسم سكوتلانديارد ..

لاذ الجميع بالصمت بعد هذا الجواب ..

وكان الرجـــل العجوز بادي الدهشة كما لو كان طفـــلاً صغيراً ..

واخيراً تكلم الرجل الضخم وقال :

– لاتقلق يا عمي .. اننا ضحية خطأ بالتأكيد ، ومثل هذه الحوادث تقع دائماً ..

ومن السهل تسويتها ، واعادة الامور الى نصابها .. والبرهان على انه لا علاقة لنا بالجريمة .. فباستطاعتي انا ان ابرهن مثلاً ، اني لم اكن في لندن يوم وقوع الجريمة ..

كما ان (بوب) – واشار الى رفيقه الدقيق الجسم – كان في المستشفى ..

واما انت فقد كنت في لندن ،ولكن باستطاعتك ان تبرهن على كل حركة من حركاتك فيها ..

وقال العجوز :

– هذا صحيح يا برسي .. وهو امر سهل جداً . لقد كان هذا في اليوم التالي لزواج (اغاثا) ..

دعني افكر ما الذي فعلته في هذا اليوم .. ؟ لقد جئت الى لندن بعد الحفلة ، وتناولت طعامي في النادي مع شارلي ، ثم تعشيت مع المستر فيشر ..

نعم . نعم .. لقد تذكرت لان الطعام كان ثقيلاً ، ضاق على

معدتي فلزمت فراشي في اليوم التالي .

وقال الشاب الرقيق الجسم بلطف:

ـ وكذلك ترى يا سيدي انك مخطىء . . والواقع اننا على استعداد لمساعدتك كأي انكليزي ..

ولكننا لا نريد ان تقع سكوتلانديارد في مثل هذا الخطأ العظيم .

اليس كذلك يا عمي ؟.

ـ طبعاً طبعاً يا بوب.. اننا على استعداد لمساعدة المسؤولين.. ولكن هذه التهمة لا تحتمل ..

وخيل لي اني في حلم من الاحلام . .

كان الثلاثة يتكلمون دون ما تمثيل ولا مداورة ، حتى لقد اخذت اكذب نفسي ، والعن الساعة التي اتهمتهم فيها ..

ولكني ما لبثت ان عدت فتمالكت نفسي ..

لقد كان نور غرفة الطعام خافتاً ضعيفاً ، لقد اضيئت فيها لمبة واحدة فقط ، واما بقية اللمبات فظلت غارقة في ظلمتها ..

وقفت وضغطت على الزر الذي يضيء اللمبات الباقيـــة ، فعم النور الغرفة ، واخذت عندئذ افحص الوجوه الثلاثة الـــتي كانت امامي بانعام ودقة ..

كان من الممكن ان يكونوا الثلاثة الذين اجتمعت اليهم قبلًا وفي ظروف قرأ القـارىء تفاصيلهـــا ، ولكن الذين كانوا امـــامي كانوا يختلفون بعض الشيء عن الثلاثـة الاخرين ..

وفجأة تذكرت براعة القوم بالتنكر ..فلذت بالصمت افكر فيما يجب ان افعله ..

ولا بد ان الثلاثة قد استشعروا بالحيرة التي تـساورني ، فهدأ روعهم .. واطمأن بالهم ..

وقال العجوز بلطف :

ـ لا بد ان كلامنا قد اقنعك . .

وتمدد قليلًا في مقعده .. ولحظت ان اصابعه اخذت تداعب ركبته ..

وكنت قد شاهدت مثل هذه الحركة من العجوز الذي حبسني في المخزن المرعب ..

ولمعت عيناي .. وقلت في نفسي :

اني لست مخطئاً بالتأكيد ..

ولا بد ان يكون الشاب الصغير هو القاتل .. قاتل سكودر ، وحدقت في وجهه اشاهد امارات الحقد والشراسة بادية على محياه ..

واما الشخص الضخم الجثة ، فانه ممثل بارع بالتأكيد ، ولا بد انه الرجل الذي مثل دور وزير البحرية ..

وقد قال (سكودر) عنه أنه يتلعثم في حديثه ، ولكن لا بد ان هذا التلعثم كان من ضروريات الدور الذي يقوم به ..

وعدت انظر الى العجوز ..

لقد كان الدماغ المفكر لهذه العصابة ..

والرجل الذي لا يتردد عن اي شيء للوصول الى اغراضه ..

وقال العجوز فجأة :

ـ انظر الى الساعة يا بوب .. عليك ان تذهب اذا كنت تريد اللحاق بالقطار ..

ثم التفت الي وقال :

ـ ان (بوب) مضطر للعودة الى لندن ..

قلت وانا ابتسم :

ـ عليه ان يسافر في فرصة اخرى ..

وعندئذ تأكد الثلاثة انهم لم ينجحوا في اقناعي، وعاد العجوز يقول :

ـ سأكون مسؤولاً عنه عندما تطلبه .. وباستطاعتك الحصول على عنوانه في لندن ..

وتطلعت الى وجهه .. وفي هذه اللحظة ، لحظته يغمض عينيه وهو يتكلم ..

وهي علامة فارقة لفت (سكودر) نظري اليها ، ولحظتها فيه عندما اجتمعنا في منزله حيث سجنني كما قدمت ..

وعندئذ لم يبق عندي شك فيما يجب علي عمله ...

تناولت صفارة من جيبي وصفرت . . وبمثل لمح البرق انطفأ النور . .

واحسست بيد تقبض علي من خلفي ، وصوت يقول بالالمانية :

ـ اسرع يا فرانز الى اليخت . .

وشاهدت في هذه اللحظة اثنين من رجال البوليس في حديقة المنزل .. على نور القمر ..

وقفز الشاب الدقيق الجسم من النافذة الى الحديقة قبل ان يلحقه احد ..

ودفعت الرجل الضخم عني ، في الوقت الذي اقتحم الغرفة بعض رجال البوليس .. حيث قبضوا عليه وقيدوه ..

ولكن عيني كانت تراقب حركات الشاب الهارب، الذي كان يسرع قفزاً على درجات السلم الى البحر ..

وكان رجال البوليس قد تمكنوا من القبض على الرجلين .. بعد ان اعادوا النور الى المنزل ..

والتفت الي العجوز يقول :

ـ انكم لن تلحقوه .. لقد انتصر الحجر الاسود عليكم ..

واذن فقد كان هذا الشاب هو (الحجر الاسود) . . وهو الذي كان خلف هذه المؤامرة المرعبة المثيرة ..

ولكني ما لبثت ان ضحكت وقلت للعجوز حين بدأ رجال البوليس ينقلونه الى السيارة :

ـ لقد نسيت ان اخبرك ان بحارة الطراد قد قبضوا على بحارة اليخت واصبحوا جميعاً في ايدينا ، فاذا ذهب صاحبك فرانز اليه فانه سوف يستقبل بالترحاب ..

• • •

بعد سبعة اسابيع من هذه الحوادث ، وقعت الحرب العالمية الاولى . . فتطوعت في الجيش ، لاقوم بواجبي .. ولكني كنت قد قمت بهذا الواجب ، قبل وقوع الحرب ..

ـ انتهت

الجاسوس الكبير

- رواية مثيرة ، تصور خطر الجاسوسية العالمية واسرارها ..

- وتعطي القارىء صورة حية لما يقوم به الجاسوس من الجرائم في سبيل الوصول الى اغراضهم :.

- لقد اشتهرت هذه القصة عند صدورها ، واحدثت ضجة عظيمة لدى الرأي العام الانكليزي ، وكان من اثر هذا النجاح ان اختارتها دور النشر المختلفة لتكون من الكتب المختارة التي يطالعها الشباب في المدارس والجامعات ..

ثمن النسخة ١٥٠ ق.ل.س.